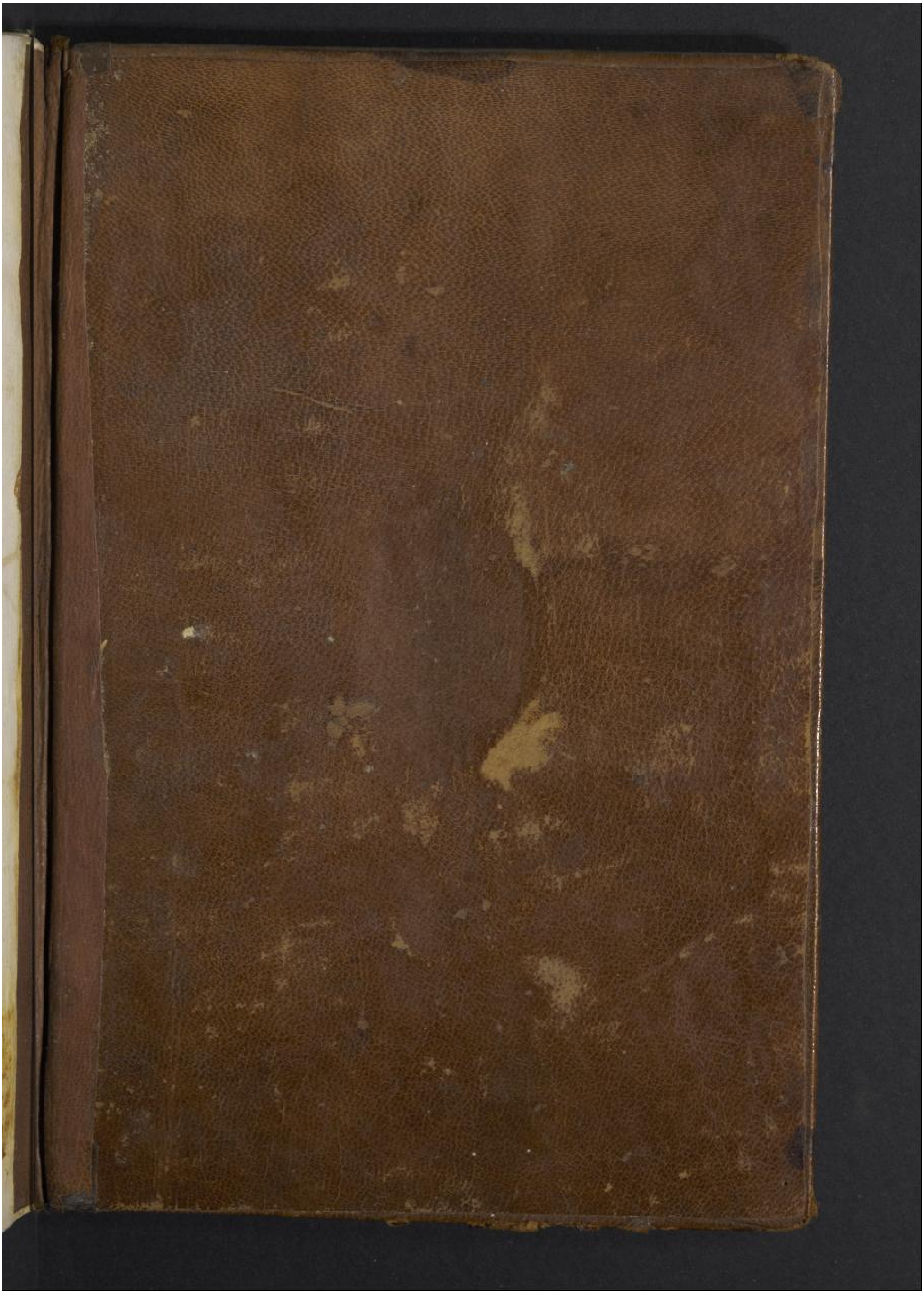




1

20X14

لأبي السرور محمد الصديقي المصري

[illegible]

يجمع الخلق

يجمع الخلق على

يجمع الخلق على طاعته وان
يبعد في أيامه ولته والسيف
الماضي

ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب
ومن يتوكل على
الله فهو حسبه
إن الله بالغ أمره
قد جعل الله لكل
شيء قدرا وصدق
الله العظيم

كتاب درر الأثمان في منبع آل عثمان

موشحا من مددنا الولاية وبما من الله
المنان من الفتح العجيب للملك المظفر سليما
الذي هو من أعجوبة الزمان ونادرة
الأوان ومن لا يختلف في فضله
أحد ولا يأتي الزمان بملك مثله
الأمين نسله نسأل الله أن
يجمع الخلق على طاعته وأن
يمد في أيام دولته والسيف
الماضي في أعدائه برق
لوابل الباطل على
أوليائه بمحمد وآله
آمين آمين
آمين
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اجتبى لعروس مملكته من تحلى
بالظفر من غصن آل عثمان وقلده اعبا الامة
لوفورا فتنة عليها وشدة باسه على الطغيان
واعانه على اهل العناد بعنايته التى هى امضى من

السيوف

2

السيوف والسنان • ودافع من ناوانا من
اهل الزيغ بمدافع الروع التي تدفع الثوان •
وكف مد كف العادي بكفيات تبين الكف
عن الساعد والبنان • وسابق ساق من
اعتدى بسبقيات تسبق الاقدام والسيقان
وفتق من انتسج من سدى لحمة الامشاج
ببنادق التي تنفذ من الابدان • وكحل من
استحب العمى على الهدى بمكاحيل البهتان
والاذعان • واعرب ما استعجم من
ارتفاق الجوارح وحروف سورها بعربات
الالحان • واخترع فنونا غير هذا وقد وردا

ترمي بشرر تظلم الجو بالدخان • وحيّر بانتشار
حدادظلامها قلوب من حضر هنالك من
الانس والجان • هذا وقد تدرع من سلاح
الدعا وتمنطق به كانه القلب له والجنان
وتكلل بتاج الشجاعة وعلى على حصان
النصر والامتنان • وجال في ميدان
المجادلة لاعلاء كلمة الله تعالى بالقسط
والميزان • وتهلل مرهفاته على هام البغي
كما تهلل بعدله عبوس الزمان • وجنى
في جنان عزمه من ثمار الظفر ما حلى
واعطر من الريحان • وشنف الاذان •

حديث

3

حديث سيرة المعنعن وارج الارجى
بصحة سنده الاكوان • فغرق به فريق
النار وعبق شذاه جنان فريق اهل الجنان
واقر العيون حليه جيد الدهر بقلائد
العدل والاحسان • وازال عزمه المنصور
بعناية المنان • سورة الفرح ازالة الكفر
بالايمان • فلالاه على الملك المظفر سليمان
شاه ايما توجه وصال على الملوك الخاقان •
لازال بانيا اساس لقواعد دين المصطفى
الهاشمي اثبت بنيان • واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له الملك الحنان •

في كل حين وآن واشهد ان سيدنا ونبينا
محمدا عبده ورسوله المبعوث من ولد عدنان
صلى الله وسلم عليه وعلى آدم وما بينهما
من الانبيا وآل كل منهم ما اختلف الملوان
والحسنين ابي بكر وعمر وعلي المرتضى وعثمان
اما بعد فلما جرت العوايد من قدم
الزمان واستقرت عليها قواعد الخلفاء
والملوك الى هذا الاوان من اثبات محاسن
كل ملك في سيرة تجمع شوارد ها وتحوز
فوايدها وتقيد علمها بالكتاب وتنتظم
دررها في سلك السطور بعد الانتقاء

والانتخاب

والانتخاب لما في التواريخ عبرة لمن اعتبر
وتنبيه لمن افتكر واعلام ان قاطن الدنيا
على سفر واعصار لصورة حال من مضى
وغبر فان الدنيا دار انقلاب ومحل تغيير
واضطراب قدمت على الاخرى للاكتساب
اما لجزيل الثواب واما لوبيل العقاب
ولا يتمكن من ذلك الا من يكون في حماهم
يحوم وبظل ساحتهم الوريف يقيم ولا يقوم
ويقيد احسانهم الوثيق ملتزم وفي حرم
حرمهم الحصين محترم حتى يجري دموع
مقل الاقلام بالمشاهد ليكون الغايب

اذا وقف عليه كمن شاهد ومن له الاطلاع
والالمام بتواريخ ايام الانام جاز من علوم
الادبية طرف ووقف على بنا التصريف
وصرف ونحى الى النحو واعرب فيه بالبيان و
كفته راجحة في علمي المعاني والبيان وابدع
في البديع واسس اصوله من علم الشرع
وسيع درايته وروايته في اسرار التنزيل
والاحاديث النبوية مريع وباعه في علم
العروض عريض لبصيرته زهر حروف روضة
اريض في سطور الطروس وتدنى اليه
حسنات الثنا من اعلى الروس لاسيما اذا

كان

5

كان السلوك في مفاخر افخر الملوك لان هناك
طرق كثيرة ولا اقل طريقة او القول له هجاء
او مجاز وان كان لغيره مديحا او حقيقة وذوابه
كل فن عند اربابه مشهورة والاقدام على الشق
والمشي فيه وسلوكه على قواعده المرعية مشكورة
فان صورة الافعال في هذا المقام الطف
محلا من معناها وقد جرت العوايد على ابنتنا
ما ابتنى من الاداب فلا ينبغي ان يخرج عن
مبناها ولما لم يتفق ذلك الا للافراد ولم
يحتر على غيرهم في ذلك حرج والا لما قامت
اقدام اقلام خطبا التواريخ في مجار الاسماع

ولا عرج كنت سترعت مع قلة البضاعة
وفضل الباع في كل الفنون والصناعة
في زمان تسامى الجاهل فيه وتحامى وتدانى
العالم فيه وترامى وتعالى حظ الجاهل فيه
وتعالى وتكاسد سوق العالم فيه وتقالى
وصار الجاهل محمولا على الاحداق والعالم
مطروحا بين الرقاق ان تظلم فلا يوخذ بيده
وان استرفد عومل بصده كانت ذممه
ليست مخفورة بعهده فلا ادرى
ادهرى على بجهده او من ابنائه اجلب على
بجنده او كل واحد منهما على بصده ولم

يكن

يكن لي جلد ادافع به جيش الدهر واحدى
او سلاح اضاضل به فرسان الزمان بيدى
اف لدهر ضن برفده او ابنا دهر اثرو امّا
انفذه الله تعالى على ما لا ينفذ من عنده
و نبذوا العرض وعروضه على ما لا يساوى
عند الله جناح بعوضة الا في دهرنا وعند
ابنائه ان طالب العلم والمتوشح بوشائح
الفضل والحلم والمنتظم في عقد الشريعة
وشرطه والمتسق في سلك المروة وسمطه
وهو بين قومه ورهطه كانه سارق عملته
تحت ابطه وما نقموا منه الا انه حفظ الامانة

فاضاعوا وعصوا شيطان النفس فاطاعوا
وليس له فيما يأتيه من ضر وفها نعمًا
كان او بؤسًا الا ان يكل الامور الى وليها
فيقول حاج ادم موسى هذا ولم اسأل الانام
عنى ارفع به طرفى واكف عن المسئلة كفى
وهى تعدنى موعدا يقربه الآمال ويباعد
المطال حتى ظهرت اياة الدر والدرر البليغ
التاج الجوهر الغرر الغر الغرير العثمانى الذى
نادى لها منادى الاحسان كما نادى
منادى الايمان وبشر بها ان يطلق لسان
الانعام لا ان يعقل لسان الكلام وان

يخرج

يخرج على الناس من محراب الصلوة لامن
محراب الصلوة لازال ماهولا ناديه مكلية
ارضه مملوا واديه ولا برح مشكورة اياديه
مكبوبة اعاديه مغديا لمن يقصر عن مده
حتى يصبح وكل الناس فاديه قالت
لى الايام عندى ذلك هذا هو الموعد الذى
جعلت امدا وجوده هو المورد الذى لا نظما
بعده ابدا ولم يكن بينهما وبين القرب
من السعادة الا مصافحة التلاق كما لم يكن
بينهما وبين البعد من الشقاوة الا مفارقة
من اذنت عنه بالفراق وجعله الله لكل

انسان يا تيه اهلا وصوب جوده مسيحيا
يكلم الناس في المهد وكهلا ولا مفر الا بابه
الذي هو باب السماح ولاتوتى البيوت
الا من ابوابها ولا يعتصم في تسهيل الجوائح
الا بما من اسبابها وهذا هو انبيك الباهرة
ومعجزتك الظاهره وسلاحك الذي هو
معقل من السلاح وبيدك التي تخرج بيضا
من غير ان تضمها الى الجناح وقد اصبح
حالك مريضا ولا دوآله الا الوفود على
[illegible] لكرام وغير خاف ان مرض الاحوال كمرض
الاجسام وما منهما الامن يعالج بعلاجه

وراعى

8

ويراعى فيه قانون مزاجه فهذا يطب بلطف
الاوصاف وذاك يطب بلطف الاسعاف
وجود الغرر الخاقاني هو شفا هذا المرض
والشديد فع بالضد اذا عرض فقلت
لها هذا هو الخبر قد يصدق وقد يكذب
النظر وقصاراه فيه تحريض للآمال فهو
بنا على غير اساس ولا يعمد اليه احد من الناس
وايضا اذا تصورت كيس الآمال فليس فيها
درهم ولا دينار واخشى ان اتمثل اجرامري
بقول القايل حديث الليل يمحوه النهار فتبسمت
عند ذلك اما علمت ان الآمال في الغرر

الخاقاني اموال حاصلة في الاكياس والمطالع
في كومه ملية لا تخشى عادية الافلاس من غير
تمليق في تنفيقها ولا الى تنميق القول في
تنميقها فان ذلك مما يخدع به من اقفل
يده فلم يفتحها ومنع عطاياه فلم يمنحها
وحاش التاج العثماني وهو الكريم ان تهز
شيمه او تستمطر ديمه والغمام غني بكثرة
مايه عن الاعتصار ويخلق سماحته عن
الاستمطار وشيمة مولانا تقتضي نفسها
فعل الكرم ولا تفتقر الى الاستشفاع بوسائل
الذمم فلا وسيلة الى فطان شيمه ولا

حاجب

حاجب لديه الا لسان كرمه ولو بذل السحا
ئب من مابها ما نبذله يدي مولانا من
مالها لما اقلع عن الارض تهتانها ولردت
للناس الاية النوحية وطوفانها كيف لا
وقد اوتي من الجود ما طوى به حديث
الكرما وانسى كعب ابن مامة وابن ماء السما
فانه كسيل يدفق من غير سما وغرس اورق
من غير سقيا ما وهي سما الانعام التي الورق
في ارجايها والهمم متعلقة برجايها
وهي الغمامة التي اذا اظلت على ميت الامال
احييته بعد مماتها ووسمتها باحسن

سماتها ومما ابدته الآن شيمة الكريمة
انها اجتهدت في فقه مناقبها كما اجتهدت
فرق العلما في فقه مذاهبها غير ان ذلك
ليس مما يتلقفه الافهام ولا مما يحيط
بكنهه الكتب والاقلام بل هو شيء ينبت
عليه الاعراق ويتصور من طينته الاخلاق
وقد جعله الله بكونه مسيحية في ابراء
الاسقام كليمية في نقع غلة الاوام
خليلية في تخمد نار الهموم بالبرد والسلام
محمدية في الاسرا بعفانها الى المطلب
الاقصى عن المطلب الحرام وهذه سنة

سنتها

19

سُننها انداه واستفتحتها يداه ولا عجب
على الكريم اذا افتتح في المكارم جديدًا
وادنى منه ما كان بعيدًا بل العجب انه
سلم من الوحشة في غاية سار فيها وحيدًا
ولقد تفنن خلد الله ملكه واجرى في بحر
السعادة فلكه في خلق السماح حتى ابتدع
فيه اسلوبًا غريبًا ورأى الاقتدا بمن
تقدمه شيئًا معيبًا ودرجة المجتهد
باجتهاده غير درجة المستمسك بتقليده
وفرق بين السنة المخلقة بكثرة الاستعمال
وبين ما تسموا الهمم السليمانى

الى تجديده فذلك هو السعيد الذى
بعدوا ابا عبايها مستنقلا ولم يكن في ماله
مكثرا وفي عمله مقلا وقد قال عليه
الصلوة والسلام المكثرون هم
المقلون يوم القيامة الا من اتاه الله
مالا فنفخ فيه يمينا وشمالا وهذا وصف
اختصت به الخوندكارية التى صغرت
عنده امر دنياه وهى عظيمة عند الاقوام
وهونتها لديه وهى مخصوصة لديهم
بالاكرام ومن نعم الله عليه ان قد
وفقه لاستدامتها بالافعال الشاكرة

وجعلها

11

وجعلها سببًا الى الفوز بنعمة الاخرة حتى
يصبح وقد استحوذ على درجة الملك في
داريه ورفع بهما منارى فضل فلا انقراض
لمناربه فلا حرج اذا على القايل ان يتجوز
في مقاله ولا على الامل ان يتجوز في اماله
ثم قالت لازالت دول الايام على يده
دايرة ووجوه السعادة الى مساعيه سافرة
واجنحة النعم بابوابه مقصوصة وبانيابه
طايرة وعزايم التوفيق لارايه مسخرة
وباعدايه ساخرة والعيون والالسنة
في رواجه وروايته حايرة وصروف

الزمان مؤثرة لاوامره فلا تجبر ما كانت
هابضة ولا تهيض ما كانت جابرة ولا برح
مجيرا بفضله من الاعدام مغيرا بعدله
على دجى الظلم والاظلام حتى يحط امل الا
بيابه ولا ينشا كرم الا من فيض سحابه فقال
لها امين ثم لم ازل استوثق منها واستنور
بناها المبين واراود عليها السوال عن
جهته واستوضح منها على الوجه الذى
يكون قبلة وجهته الى ان لاح لى ذلك
المقام الشريف الكريم المالكى الملك
المظفرى الافضلى الذى هو من كل وفد

مملوك

12

مملوءٌ من كل فضل مُلى الذي هو محط الندا
ومَعْدن الجدا ومهبط وحي المكارم وحاق
اجل الكرما ويأتي على قدر الكرام الاكارم
فحينئذ وقفت مهوة شوقي وغارب
املي ونسيت شقاوة الايام وظلام الليل
ونبت املي بذلك المقام المريع كما تنبت
الحبة في حميل السيل فاستانس عند
ذلك قايلاً فلا حرج على من عده ثاني المروتين
في السعي والارمال وجعله رابع المساجد
الثلثة في شد الرحال ولما نوى السير
لوجهته هذه قايلاً فلو كان للعصى سير

لما سار ولا اختار دارا الا دار مولانا فانها
نعم الديار لم يعرضه ريب في المسير ولا
قيل له ان اسباب الغنى لكثير دفنا
بالقوادير وعد لا بالمقادير بل علم انه سائر
الى كنز فيما ريستخرجه وانه ظافر بميلاد
سعادة لم يلحقه ولكنه يستنتجه فعند
ذلك عدت الى ما شرعت من تدوين
بعض وقايع الخوندكارى المالك الملك
الدر الدرر الخاقانى الذى نشا في
منبع ملك كبير وظهر من بيت سلطنة
قدره خطير وغصن دوح منظره

نضير

نضير ونجم افق منير وزهر روض مستنير
ودرة عقده النضير ليس له نظير وعرف
ارتجبته اريج ورونق نضارته بهيج وبيت
انعامه عامر وسحاب سخايه غامر
ودخله لحماة الدين فاير وفلكه في قطب
العليا داير ممن توشح للخلافة ومعدن
السماحة واللطافة الامام الاعظم
والخاقان المعظم ولي زمام الامم ملك
ملوك العرب والعجم ذوا العزم الاروم
ملك الشام ومصر واليمن والحجاز والروم
كاسر الجيوش وارتاعت منه الاكاسرة

والجيوش الذى كان من اعجوبة الزمان
ونادرة الاوان ونخبة ملوك آل عثمان
المالك الملك المظفر الذى بسط في
البسيطة سندس بساط سطواته الاخضر
عروس الولاة سليم شاه بن السلطان
بايزيد بن السلطان ارخان بن عثمان
السلطان عثمان جق بن السلطان سليمان
بن عثمان ولى عصره واوانه ومعدن
جواهر سلاطين الدهر وزمانه اجرى
الله تعالى بنصرهم الاقلام وحمى
بسيوفهم الماضية حمى الاسلام ولم

يخف

يخف ما لهم من الفخار وما رقمته الايام
من تفاصيل مناقبهم في جبينها يغني عن
الايراد هاهنا الابتدا منها والاصدا ولكن
الملك الملك المظفر سليمان الجاني
باكورة النصر المؤبد وبعناية الملك الملك
المنان ارتقى اكملها وتاز راجملها وجر
متفرقها وتقلد متسقها وطلع فيها
شمسا فجمل افقها ولهذا خرج على قومه من
الاخلاق في زينته واستفتح من
الفتوح العجيبة باستور افكار عزيمته
وفيما شهدت به الايام فيها بيان صادق

ولسان نعتبه هاهو الناطق اذا لم ينق
لسان ناطق كيف لا وهو شبل نشا من
هذا النسب ونضارة ملك لا بل خلافة
عصن اشرق الله بنور آرائه ما شان منه
ونضب ثمرنا ادوى الردى ما بارض التسليم
من الذرع واوحش انتهاز فرصة الذى
كان ليس دونه فيه يد تدفع ولا حيلة
تمنع وقد كنت شرعت اولا من انعطاف
الطالع عليه وتدوين ماله وقع مع شباه
العجم وملوك مصرنا هذا ابن امنا ومسع
ومع التعرض لبداية ولاية كل واحد واحد

بلعض

لبعض اصوله وبما به تمين وترفع ومع
الاستيعاب بلاشهر وقايعه فانه امام
هذه الفضيلة التي حسدها الروض الموشع
والسمط المرصع والقمر وهو ابن عشر واربع
ومخالفه بخله الكريم المظفر سليمان المشرف
المفرع واجتهد في قيام الحق ونصرة الشرع
اخذت في الشروع في سلك درر
ماثره وذكر اصل منبعه الممرع ثم سوق
الكلام على ما كان عليه ثانيا بتبين من
بداية رلايته وفتوحه الغزية التي
عزبها الاسلام ثانيا لانه المامور وما منهما

الا له مقام معلوم وحين اوردت ما قصدت
بلمعة تعرب عن قضايا ذلك النور وننشرح
بها الصدور ونعمر ربوع السرور انتسج
فظهر كما ترى من اللحمة والسدى من
بدور ذلك القضايا كل نير حسن ولا ينكر لطفها
البر لمن اقام باليمن وتفالت عند ذلك
بيمن الامل والمنى والمنن وسميته درر
الاثمان في اصل منبع آل عثمان موشحا بنبذ
من بداية الولاية لبعض الاصول والاغصان
وبما من الله المنان من الفتح العجيب للملك
المظفر سليمان ليكون لي عنده ذكر ويحول

لى

16

لى في خواطره الشريفة فكر ليتجدد ذكرها
ويبتاع ويبيت تجلب لنا به الادعية الصالحة
فانها انعم المتاع فانه ولى الاجابة والتوفيق
وملهم التصوير والتصديق ذكر
اصل منبع مولانا السلطان المالك
الملك المظفر سليمان شاه اول ما نبدا
به الحديث ذكر منبعه الذى كنا نطلب الوقوف
عليه بطلب حثيث مع ماله المحقق ما شوهد
من غصونه من فضيلة النسب المصدق
شريف حسبهم ماله من شريف الحسب
وهو من ذوى البيوت التى سمت بكرمها

وعلمها وقد منت معاهد بجدها فاستحدث
عهد تقدمها فانسابها كمن الى حلبة في
سباقها او ككعوب مثقف في اتساقها فلم
يبق شرفها بدعائم جدود ولا افتقر
لاستشهادها الى ادلة شهود وشرف
الانساب اصدقه ما كان الدهر به شهيدا
وانجبه ما كان قديما واخلقه ما كان جديدا
فيقال ما اقرب الشبه على قدم عهده وهذا
ما الورد بعد ذهاب ورده وهذا هو
النسب الذى اذا نظم غارت الشعراء
عليه من الشعر واذا نثر وجد في محكم

الذكر

الذكر ولم يخف ما لآل عثمان من الفخار
ولا شبهة فيما جا من الاثار فيما لهم من عظيم
الاثار وقام في الاذهان حقيقة قدرهم
الموصوف وسار من اخباره فاذا قالت
الاثار هذا السرى قال الايثار وهذا
معروف ولما لم يكن في الملوك شرقا وغربا
من قديم الزمن الى يومنا هذا عجما وعربا
ولم يوجد لاحد منهم اعتنا على اهل الحرمين
الشريفين كاعتنا آل عثمان ولا صدقا
ومبرات من عنده تحمل اليهم على بعد
المسا كآل خاقان لم تزل الفكر تجول في ساحة

هذا الاعتنا وسجية هذا الكرم وتتطلب
الوقوف باى اهتزاز تساقط اثمار هذه الشجرة
الى هذا الحرم وباى سبب انتسب هذا
الحنو حتى لم شعث افئدة هذا الانام فلما
لاح لوامع المنبع ظهر اسرار الانتساب
والمنبع والنفس الابية لا تغفل من كان لها
بالاوطان رضيعا ولا تهدم وان قدم العهد
بنا من كان لها بالاساس مربعا وعلى الحقيقة
ميلها اكثر الى الوطن المحبوب والصاحب
والمصحوب هذا وقد نقل الثقات من
المورخين كشيخ الاسلام ابن حجر وغيره

من

قف على اصل منبع العثمان
تغمدهم الله بالرحمة والرضوان

من غير مجاز ان اصل منبعهم من صميم عرب
الحجاز وزاد جماعة منهم انه من المدينة
الشريفة المستجلي بانوار ساكنها عليه
الصلوة والسلام وبمحاسنها اللطيفة
المتاصل في العرب العربا المعرق في نسبه
وكرمه ما فاح طيبهما في القطر الحجازية
شرقا وغربا رد ذلك انه لما كانت عيون
السعادة تراقبه ومملكة الروم لما في سلسلة
ظهره من الملوك تراوده وتخاطبه حصل
في الاقطار الحجازية والشامية الجدب
والغلا وكان عثمان الذي هو جدهم

الاعلى ذا ثروة عظيمة ونشا من اصل شجرة
كريمة فانفق ذلك كله في وجوه القادمين
عليه والضيفان فلما نفذ ما كان بيده
حمله الحيا من الواردين على الهجرة الى
بلاد قرمان فاتصل باتباع السلطان
كيقباد بن كيخسرو في سنه خمسين
وستماية فتزوج من اهل قونيا فولد له
سليمان بن عثمان فلما شب واستفحل امره
وفاق جده واحد وابيه في الاتباع وساق
وعرف بينهم بالشجاعة والعزم والراى
والاقدام والحزم وحين اشتمل بمحاسن

هذه

هذه الفنون تقدم على جماعة وولي على بعض
الحصون فصار له اتباع بامره يأتمرون
ويراوي راي نار يورون وبسديد آرايه
يسبحون وبعزايم شجاعته يسيحون
فجعل يختطف اطراف كفار الروم ويأخذ
في غزواتهم ويواصلها من غير فتور حتى
الحق عامرها بخراب السوم ثم لما قوي
باسه وشانه فاش فاستفحل امره واستجاش
وافتتح عدة من الحصون وجرى **فلك**
تدبيره في **بحر** السعادة مشحون فاطاعه
كثير من البلدان وصار حوله من زهر الاسنة

وَالقنا كانه شموع بليل النقع تزهوا من
كل مكان وآن ان تزف عرايس ابكار الممالك
عليه وتدق كوسات اشارتها اليه وحان
والقت المعانى اعنتها عليه وقالت هيت
لك والشان حق صار معسكر عساكره
يضطرب ببروق القنا والسنان
خرج عند ذلك على طاعة ابنا ولبست
المعالى الا في استخدام ذوى العوالى
ممن ينسق بنانه في الاسنة والقنا
انساق اللالى فاستقل امره واذكر
عزمه ومكره على الجهاد ما سلفت ايامه

ودرجت

20

ودرجت اقوامه وبعد على رجال الاسلام
موقفه يطمى الى المورد مهنده ومثقفه
وانشب على الجهاد ظفره ونابه واوطا
كفار الروم حزنه وصعابه فصرف همته
اليهم وجعل دائرته عليهم وهو يصادم
فيه بعد فية الى ان افتتح في حدود
الثلاثين وسبعماية مدينة بُرسا
فجعلها الفلك تحت سلطنة مرسا وقد
كان ابو عثمان ذوى نور رواء رياضه
واوى قبل ذلك الى قصور الجنان واستمر
على هذه الحالة يجدد عهود الاسلام

في عصره وعضده منه بسيف عمره
ورأى عمره واعاد بشجاعته ما مضى
من غرة دهره وجعل مأثرها نجوم ليله
وشمس نهاره وطليعة فجره حتى انتقل
الى دار الحسنى والاحسان فابدله الله
في الجنان من تعب الجهاد الى نهود النهاد
من حور العين الحسان وقيل انما افتتحها
عثمان جق الذي هو ابن سلمان وفتح
ما يليها واتخذها دار ملكه وهو اول ملوك
بني عثمان فانه استقل واتخذ له ملكا
بقائم سيفه عن اتباع السلاجقة

والقرمان

21

وآلقرمان وان كان ابو سليمان قد كثرت
اتباعه بجماعة من المطوعة معه واشتهر
وكان له ايادٍ محمودة في الجهاد طال ما جال
في ميدان المجادلة وافتخر ولذلك عثمان
الاول لكنهما كانا اتباعا ومضافا للملوك
الاول ولفظة جق في لغة الترك قيل للتصغير
كانه الاصغر وعثمان الاول هو الاكبر
فلما حان الحين واتاه اليقين وادركه الاجل
وطوى فراش الموت منه فراش الامل آل الملك
لنجله المقام العالي اردن على ولم يزل
بعناية من مقام العالي وساقي الجهاد

سير ابيه وجاد وكثر جلاده واتسعت بلاده
وزاد وواصل غزوات الكفار حتى
افتتح عدة من البلاد واخلى كثيرا من الديار
والحق العمار بالدمار وكثرت عساكره وسن اباه
واشتملت على العدل سيرته وسجاياه
وقرب العلما والصلحا وعمر الزوايا والحق
انق والتكايا واقام حرمة العلم والعلما
وعظم شعائرهم وشرايع الانبيا وكانت
ملوك الروم اذ ذاك متعددة وهي
مقسومة بين سبعة منهم اردن علي
هذا وهو ثامنهم في العدة واجراوهم

واجراهم

22

واجراهم في ميدان الوغى الى مدى وطال
ما وسم الى ما ان بيوم باس ويوم ندى حين
صار نظراوه فوارس اللذات لا الفوارس
ومجالستهم البيوت اذا كانت السروج
هي المجالس فلما انضر نضارته على النظرا
في سطوة الباس والبا ومن نظر الى مكانه
من مكانه اخذته هزة الاعجاب وراى
السعادة داخلة عليه من كل باب
وقال هذه رتبة لا تخطر لحاسد في همة
ولا لامل في حساب فتنوعت عند ذلك
صدور كل واحد من نظرايه عليه

حسدا حين راوا في مقامه الشريف
سعود الكواكب والشمس والقر نقطة
لامنا ماله سجدا وكل منهم ينادى بطريق
المفهوم ومامنا الا له مقام معلوم فاداد
كل سلطان منهم قتاله وافتتاح باب
الحروب معه ونضاله ثم منهم من زاج
عقول فكره وعن ما قصد به رجع ومنهم
من بنى على سخيف رايه فتطارد معه
فانكسر فتوجع فعوقبت بذلك شوكته
وسكنت القلوب هيبته ومنها خافته
ملوك الروم وهادوه واخذ وا في ابدا

المحبة

213

المحبة له ولا عادوه ومن ثم لا زال ملك
آل عثمان في قلوب الروم معظم وشخصه
بالمهابة مكرم وجنده يكثروا امره مطاع
محترم وسطوته في البسيطة مبسوط و
والنيل الى مكانته من مكانه مقنوط ومع
هذه السطوة والاقتدار لم يلقب احد
بملك ولا بسلطان بل يقال له الامير
واذا بالغوا في شانه قال المقريزي
قيل خوندكار وربما قيل لملك الترك
خان ولملك الخطا خاقان ولم يزل اردن
على بميس في ملابس ملكه وبينه شق

عبير الاقبال في مسكه ومقتفيا بسيرة
ابيه السلطانية الى ان لحق به بعد عشرة
سنين قمرية ثم آل الملك الى نجله ارخان
فسلك طريق ابيه وجده في اعلا كلمة
الشرع في السر والاعلان وازكن الى
الجهاد فضيق على اهل العناد فسيح الصفا
ومنعهم طيب الرقاد واغلق عليهم جانب
الوساد وفتح كثيرا من البلاد والقدر
يساعده على استيلاء الصياصي والحصون
الى ان حل به ريب المنون ثم آل الملك
الى نجله العزيز مراد مجد واجتهد ووطن

العباد

العباد والبلاد فلما اجرى فلك الملك في
المراد وانقاد له الامر على ما اراد لم يرض
بما افتتحه اباؤه من الملك فاتخذ سبيله
في البحر سربا للغزو وفي امنع الفلك فهو
اول من ركب البحر في الجهاد من آل عثمان
واخذ ما يقابل كالى بولى اولاومة الاهائم
حاصرها الى ان حملوا اليه الجزية واذعنوا
له كل الاذعان حتى ولى عليهم قاضي بها
فعظم حينئذ شانه وفخم ملكه جدا وعز
سلطانه حتى خافته جميع الطوايف ووقعت
في قلوبهم رعود هيبته الرواجف

ولما تم غزوه ورجع ودفع سورة العادى
ومنع واستحكم مربع اموره المهمة الاصل
والفرع اناط الامور بقضاة الشرع كيلا
بشغله عن الجهاد الذى هو بصدده بالمرصاد
فمن يومه الى هذا الاوان فقضاتهم
موكول اليهم امور العباد ولم يزل مراد
المراد فى الجلاد والجهاد حتى حصل له
الشهادة وفاز فى الدارين الحسنى
وزيادة ثم لما انس مراد دار السعادة
استخلف نجله الكريم بايزيد فسار
سير ابائه من قمع الفجار وكل جبار عنيد

فاحسن

فاحسن في السياسة وابان في اشارتها
عن انواع السودد والرياسة فاظهر الشفقه
والمراعاة في الرعية والعدل الزايد والحنو
عليهم والرافة السنية وقد قيل انه كان
على الضعيف من رعيته شفوقا وبالفقير
من حشمه وخدمه رفيقا يحكى انه كان
في بعض مغازيه فعطش بعض حواشيه
فاتى في قرية بعض النسا فطلب منها شربة
ما فقالت له على رسلك ما عندي ما
تشربه فراى في قعبتها لبنا فشربه
فقالت هذا قوت الصبيان واشتكت

عليه لسلطان بن عثمان فاحضره
واستجهزه فخشي من سطوته فانكره
فقال للمراة انا ابعج بطنه فانظر صدقه
ومنيه فان بدا في بطنه اللبن صدقت
واوفرت لك الثمن والا ظهر بالصدق
قوله وفعلت بك مثله مثلة فقالت
والله ان قولي لحقيقه وما رميته بتخليقه
ولكني افرجت عنه وابرات ذمته منه
فقال لا بد من انفصال القضية واجرا
العدل فيها بالمرضية ثم دعا بالسيف
وابعجه واجرى على ما بطنه ما ازعجه

فظهر

26

فظهر في بطنه اللبن وبان للمرأة
صدق اللسن ثم اشهره في الوطاق
ونادى عليه هذا جزا من يتناول في
دولة الملك ابن عثمان شيا بغير استحقاق
ومن ثم انتظم طباع طبايعهم عن موال
الرعية وامتدت شريف هممهم العلية
الى الغنايم السنية وفاقوا على غيرهم
من الملوك بسيرتهم المروية وسادوا
في الدارين بين البرية كيف لا وهم
من محاسن ملوك الايام وخيار ملوك
الدنيا وسياج الاسلام ولم يزل

بايزيد شانه في العلا والاستعلا يزيد
الى ان جرّد له الحيف سيف القهر وطاف
في جنان ملكه ثم تيمور الذي كان من
نوائب الدهر وافاه من رواد الردى
من لا يغفل عن بايزيد ولا عمرو وثم
لما جرى ما جرى وطاف في رياض الملك
ثم تيمور وسرى قام ولده الكبير الامير
سليمان ولمّ شعث الملك وشيّد الاركان
حتى تهلل به وجه عبوس الزمان
قائلا فطال ما شهدنا مواطن الحرب
فكان النصر مطبوعا في اغمادنا والرعب

مستقرا

27

مستقراً من عز جهادنا وإذا غادرنا
الدهر ذلك من بين المرات فالإساءة
الواحدة مغفورة بين أعداد المسرات
وقد سن الله تعالى للأسوة في تداولها
مثالاً ويكفي منها أنها كانت بين نبيه
صلى الله عليه وسلم وبين أعدائه سجالاً
ولنتأسّ برسول الله في هذا المقام
فقد نال العدو منه منالين كيوم أُحُد
وحنين ولم يكن ذلك نقصاً لأمره
بل امتحاناً للصبر لأن الكلوم كفاء الحروب
قرض ووفاء ثم جرى على سيرة أسلافه

في صفايه وعفائه وا صلى الكفار وسطى
على الفجار فجعل نهارهم ليلا في صبغة
سواده وليلهم نهارا في استمرار سهاده
فقرن عشا ليلهم بسكره واهل شهرهم
بغرة قمره ثم لما وطن البلاد والعباد
وسدد سهم المرام الى غرض الجهاد امن
الامر في وارق ظله والمامور وقالوا الحمد
لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا
لغفور شكور هذا ومن هذا التلميذ
الى سليماننا هذا المزال ملك آل
عثمان ينبوا وعساكره سهما في نحر من طغى

وبغى

وبغى تقتل وتربوا واساس قواعده لا ازال
بخير ولالطاف ضيم الدهر في جنانه بعدها
ولاضير حتى تواصل من اصل اصيل الى
فصل فضيل ومن اب كريم الى خلف وسيم
الى ان وصل الملك العقيم بقلب سليم
الى الملك المظفر سليم ذلك تقدير العزيز
العليم ذكر انعطاف الطالع عنانه
للملك المظفر سليم وثناه بجمله معتذرا
اليه بما جناه ولما كان الطالع اشار للملك
المظفر سليم ان يستولي على تخت الروم
تبلادا بالسعد والتمكين وحباله تخت

الديار المصرية واقطار الحجازية طريقا
من تقادم الايام والسنين فان احسن
الحظوظ ما طرق الباب ولم يكن لآمل في
حساب فذلك الذي جا من غير ايذان
وقيل فيه نحمد الله لا نحمد فلان وفلان
كالم يات المرؤ مالم يخطر بباله ولا طمحت
به طوامح آماله فان موسى عليه الصلوة
والسلام طلب نارا يهتدي به في الظلما
فجاءه الخطاب من قبل السما فصارت
الجذوة جذوة وانقلبت نار الى بالكلية
هداية نور الرسالة طرق الباب في سنة

ثمانية

29

ثانية عشر وتسعماية في شهر صفر بالبشر
عنوانه وفاح بشذا السرور اردانه
من طيب خبره الذى جاعلى وفق الاقتراح
الذى طلع بعد طلوع الشمس بعد
الصباح فابتسم به الزمان فقال
اين اولياء الدولة الذين يبيتون لها
حيث الامانة ساهرين ويغدون لها
حيث الكفاية ناصرين وقد ظفرنا
الآن بالرجل المطلوب وقلنا لمنصب
الكتابة ليهنك الاستمتاع بالحظ المكنوز
وقد اظهرنا من معدن الخلافة

جوهرة يحسن فيها حسد الحساد وتزهى
فيها لفظ العين على ضمير الفواد على انه لم
يترشح لها الامن هو من اكفائها ولبست
الكفاة هاهنا الا ما ابتذله الضماير
من وفائها وقد اتاح لها الله كفوا ايناسها
وبضعها من البر في محله ناسها ويجعل
كل يوم من ايامها عرسا حتى تتصل مواسم
اعراسها وهو ضامن لها ان لا تسال
طلاقا ولا تزال ترى عطا حسابا وعيشة
وفاقا فكل يوم من ايامها يوم نحر وكل
ليلة من لياليها ليلة قدر وقد قدم

فيها

فيها قديمة الميلاد وورثته اياها سيادة
الاباوسودد الاجداد ولا نقوم نجد منه
هذا الملك لامن سعد ورشد وقام
بفحوى حمد الله الذى يقال في مثله
سمع الله لمن حمده وجعل خدماته اثمانا
للثواب حتى يقال ما انفس هذا البيع
واثمانه وبنى له ايوان مجد يبقى ذكره
اذا انست الايام كسرى وايوانه وكتب
له كتاب خلود يكون سواد الليل من
مداده وبياض النهار من طرسه ونسخ
بسلطان ملكه ما تقدم من سلاطين

رومه ومصره واعلى سعادة غده على يومه
وسعادة يومه على امسه وحباد ولته بسجود
كواكبه وقمره وشمسه وجعل خلع
المعالى من افضا البسه وغادرها لديه
كالاسم الذى يتصرف فيه حفظا ونصبا
ورفعا وجعل اعداه من الذين كانت اعينهم
في غطا عن ذكره وكانوا لا يستطيعون
سمعا وقد اخترنا لها من وفقنا في اختياره
واخذنا فيه بشدة الراى وحزمه
لا بشبهة الهوى واغترار ولو لم تكن
الاشارة له منا لكان استحقاقه

لها

31

لها بيننا وتعويل السلطنة بل الخلافة

عليه منعيننا وقد علم ان شهادة تناخي بمنة

النسب وانها كمتن السيف الذى فيه جلا

الشك والريب واذا قلنا كان قولنا اماما

يوخذ بتقليده والسيد من حكم لسانا

بانصاف تسويه وليس احد من الناس

بما اشرنا اليه جاهلا غير ان العالم كالجاهل

اذا لم يكن بعلمه عاملا كيف لا وهذه

دعامة لا تشد بغيرها قواها ولم تصلح

لسواه ولم يكن تصلح لسواها وقد عقدنا

به عالمين بانها معقودة بمن ينبغي

ها

الدوالية ويلوى بالصخرة الصمالية
ويقلب الامور نشرا وطيا نشره وطيه
فان عزمه سيوحى اليه من ايات الممالك
وانبايه بل الخلافة العظمى التى لم يصل
اليها احد من آبايه بل ذلك تشنفت اذان
الامال الى من له هذا الطالع الوسيم
هذا وقد جرى في بحار امواج آمال
النظر الثلاثة احمد وقورقود وسليم
فكان كل منهم كا نوالها آملين وعليها
عاملين وقد كان كل واحد منهم قد
اختص بنيابة عن ابيه في اقليم غير

ان

32

ان الاولين يجحزلها بدقيق النظر على
الاقتدار وادعى كل منهما انه المولى وغيره
الولى حتى مكرا لها مكر الليل والنهار وقد
سبقاه بالزمن وعمن لابد دبه الرياسة
ومزيته قدره حتى جا من دهليز النيابة
من دار بزون وغوارب امواج عساكره
تضطرب سروق الاسنة والقنا ولسان
حالهم ينادى بطريق المفهوم هل لها
ولى سوانا لا بل نحن بها فايزون الى
دهليز سلطنة استنبول متمهلا وجا
اخرا فكان اولى وقد يكون الآخر تقدم

السابق و للاول تاخر المسبوق والنسل
آخر السهم وهو الواصل الى الغرض قبل
الفوق وان قيل ان الاول افضل من
الاواخر فان الاواخر هنا افضل من
الاول وفي طلعة البدر ما يغنيك عن
زحل و وابل المطر اكرم من طله و
للطل اولية السبق من قبله وكذلك
البدر اشرق من الهلال وهو متاخر
عنه بليال ولهذه الصورة ما شئت
من شبه ونظير والنظر فيها الى درجة
الفضل لا الى اول واخير فرب مرشح

للسبق

33

للسبق لمن يريد انه يسبق ومدخر لنفسه
وغيره الذى يرزق فنسخت اية
السليمى ايتى نور نود واحمد فرفع كل
واحد منهما حيث لم يحمد في رواية فقه
الحروب ودرايته فتقدم عليهما كما رايت
محظوبا للولاية لما عنده من فقه حسن
السياسة والكفاية قايلا ونحن نظن
انا قضينا بولاية تلك حق الله تعالى وحق
عباده وذخرنا هاذا اذا يوم ينتفع كل امرء
بذخيرة زاده ولم نال الجهد في هذا
الاختيار الذى اخترناه ولا علمنا من

هو اولى منك فاثرناك عليه وما اثرناه
بل اوصلناه هذا الفرع بشجرته الطيبة
وهذا القطر بسحابة الصيبة كيف لا
واستخلاصنا برؤية الاختيار لا ببديهة
الاختبار وما نقلنا من النيابة الى درجة
الملك الا بعد تنقلك في مراتب الاطوار
وتلك سنة الله تعالى في استرعا عباده
ليعرف المصطفى منهم من مواقع ارشاده
وما من نبي الا وقد بداه الله تعالى
باختبار حاله وأهله لرعاية الغنم قبل
ارساله وهذا الاستخبار قد استقيناه

من

34

من بحورك واخذنا منه لآلى ثم نظمناها
في نحورك فمنذ وضع هذه الالفاظ وعنا
رقم سطورها وما يقال في عروس نولت
امهار زفاف عرسها ونظم شذورها فنقول
هذا الامر مقدما ما يجب له التقديم وعظم
ما يجب له التعظيم انا بوانان هذا الملك
من صديق وسلمناه اليك انها التسليم
تسليم حقيق وقد اصطفيناك له وطوقنا
عنقك طوقا كان في اعناقنا وحملناك
ما اشفقت السموات والارض والجبال
فما الظن باشفاقنا وشانك في الامور

انما هو العدل الذى توزن الاشيا بميزانه
وهو الفرض الذى الرفق من شروطه
والاناة من اركانه وجعل يومه كعبادة
سبعين عاما في فضله واحسانه ومن
العدل اقامة حدود الله الذى اقام
بها وجه الربيع حنيفا وحد منها تقام في
الارض خير لها من ان تمطر اربعين خريفا
ومما نوكد عليك الوصية ان تنزل الناس
منازلهم فتقيل ذوى الهيئات عثراتهم
واذا خطروا ببالك في مذهب ريبة
فاسحب ذيل التجاوز على خطراتهم الا

ماكان

مَا كان من حدود الله فانهُ يقام عَلى الشريف
كما يقام عَلى المشرُوف فلا معرُوف الا في
التسوية بين اوَامر المعرُوف كيلا نلتحق
بمَن هلك من قبلنا بمسَامحة الشريف
وَاقامة الحد عَلى الضعيف وَلو عن عَن
الوَصية احد لا اغنى الله عَنها نبيه الذى
مَا ضل وَلا غوى وَلم ينطق عَن الهوَى
لكن جعَلهَا سُنة فيه حَتى يكون غيره
تابعًا وَالمشرُوع له اولى بان يقتفى
مَن كان له شارعا وَقد كرر الله الوصَايا
اليه مَع اعَانته عَلى اسلام قرينه وتاييده

بروح قدسه وامينه وحفظه من بين
يديه ومن خلفه وعن شماله ويمينه فما
الظن بمن دونه ممن غايته ان يكون
في الدين فقيها واذا ولع في وصفه قبل
ان يرى درجة خير فيرتقيها وخصلة سوء
فيتقيها فتأمل ايها الملك بالوصايا
النبوية التي بلغها من ربها واعلم ان
مراغمة حزب الشيطان في منازعة
حزبها وقد جلونا بعزمك بهذه الاقوال
جلاء الصفيحة والقرائح في مضائها
كالسيوف ولك الا مضى قريحة فانت

مستغن

36

مستغن عن استماعها مكتف باطلاع
فكرك عن اطلاعها غير ان الفقه قد يحمل
الى فقيه ولا يلقى القول الا على من يلتقيه
وانت فيه الفقيه ابن الفقيه في سلطنة
سند فقيه السلطنة التى انت بها قليدا
وفي طلها الوريف ظريفا اذا كان غيرك
له جدا وجدان اوهو له فيه تغليبا وظريفا
وقد سرى اليك علمه نفسا ودرسا
وثمرة وغرسا لكن افضنا اليك بطرف
منها ولم تستنقصه واخذنا بقول
القايل ارسل حكيما ولا توصه فانك عندنا

بالمحل الذى لا يفتقر الى رمز و لا اشارة
و لا ان يخص بها غيره فيقال اياك اعنى
و اسمعى يا جاره غير انا نسال لك كما سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا و نا
الله تعالى ان يجعل لك من امرك يسرا
ومن عزمك نفاذا فتوليها تولى من خفض
لها جناحه و افاض عليها سماحه و انضى
فيها غدوه و رواحه حتى يقال انك
الراعى الذى تتناول تلته فاراح خسيرها
وجبر كسيرها و ازداد لها خصبا و اوردها
زفها لا اعبا و اذكى في كلاتيها عينا و قلبا

وهذه

37

وهذه سبيل ان ركبتها وخدك حدث
عن جدودها ولم تنتنه الى امدها بل ينبغي
ان تزداد لذلك العلما الذين هم حفظة
الدين الذابون عنه بياض الصفيحة
وسواد الصحيفة وما منهم الا بعد بعمرو
يوم التحكيم وعمر يوم السقيفة حيث
حلوا وتقربا في مراتبهم الاكفا فالاكفا والا
اتخذ الناس رؤساجها لافضلوا واضلوا
فاتخذهم لمجلسك جمالا ولحكمك مقالا
ولسهامك نضالا وما استعجم عليك
من حكم فاكشف منهم خبره واعمل فيه

بامر الشرع فان المعروف ما عرّفه والمنكر
ما نكره فامش على اثر اقوالهم واذا اسيلت
عنه فاجعل الحوالة على سؤالهم **وقد**
قيل ينبغي للملك ان يتخذ العلما شعارا
والصلحا دثارا حتى تدور مملكته بين
نصايح العلما ودعوات الصلحا **واما**
ما احدثوه مملوك الايام فرا وانها انفع
ولو اضرت الانام بل اثمها اكبر من نفعها
كيف لا وقد قدموها على ما جا به عليه
الصلوة والسلام واما نوابذ لك سننا
واحيوا بدعا وتفرقوا فيما احدثوه من

الاحداث

الاحداث شيئا وهو راى من اتبع النظر
وترك الاية والخبر فحكمة الله مطوية فيما
يأمر به على السنة رسله وليست مما يستنبط
ذوا العلم بعلمه ولا يستدل عليه ذوا
العقل بعقله ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذه كلها
خبيثات المطاعم وبلات الطالم ثقيلات
المغارم **ومما منها** الاماكان ضرورة
كبيرا واثمه كثيرا ويومه على الناس عسيرا
واغا مما تخفف موازين الاعمال وان
ثقلته موازين الاموال وعلمنا انها

لا تربوا عند الله وان ربت عند الناس و
وصاحبها وان اثرت منها يده فهو في غد
من ذوي الافلاس غير ان الحلال من الزاد
ما يزيد القلوب تنويرا ومن سنة الله
ان يبارك في القليل منه حتى يصبح كثيرا
وقد قيل انه اذا ظفرت البطون بطيب
اللقمة تفجرت على الالسنة ينابيع الحكمة
وكما تسود صحايف الدواوين باثبات
اقلامه وكذلك تسود صحايف السيئات
باثبات اثامه ولا خير فيما يبقى اصرا على
حامليه وتفتقر في الدنيا الى عاملين

لحسابه

لحسابه وهو في الاخرة حساب على حامليه
واظلم منهم من اقرهم ولم ياخذ بقوارع
زجرهم فان السكوت عن البدعة رضى بمكا نها
وترك النهي عنها كالامر باتيانها ولم يات
نبا الله تعالى لا ليعبد له الذين قائما
على اصوله صادعا بحكم الله تعالى فيه وحكم
رسوله فلتقف الناس كافة على محجة
هذا النهج المستقيم فليحذر الذين خالفون
عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم فليتامل هذا القول تامل
من جانب هواه وعمل فيه لله لا لسواه

وحاسب نفسك قبل ان يضع لها الحساب
ميزانا وينشر عليها من صحايف الاعمال
ديوانا وقد اعد للناس يوما يسوقهم
فيه الى صعيد واحد وهو اليوم الذى
لا يجزى فيه والد عن ولده ولا ولد
عن والد فينبغى اذن ان يضرب
مولانا اعناق هذه الحوادث بسيوف
الابطال ويقبل الحوالة فيها على خزاين
رحمة الله التى لا ينقضها كثرة الافضال
فانه يجزى على الحسنة عشر امثالها
ويعوض عن قليل حرام الدين بكثير

خلالها

حلالها ليفيض العدل على الرعية
افاض للناس ويطهر ارجاهم من الظلم
تطهير الارجاس فخير سنن الخير ما بقي عمره
مخلدا وعمل به حتى يكون اخره على تردد
الايام مرددا واذا ضربت اعناقها بحد
القلم الذى كالسيف في افعاله واستاصلتها
ونرجوا ان لا يحيى منها شئ بعد استيصاله
فامر ان يكتب في اسوار الممالك وفوق
ابوابها وعلى سقوف مساجد الجوامع
وفي محرابها ولم يكن ذلك اختفا لا
منك بمعروفة بل ليالفا الناس مشاهدة

كتابه فيعظموا بازالة مالوفه ولا يمحى
من الواح قلوبهم صورة حروفه وبقاء
الرسوم على اعين الناس مما يزيد هاجة
من اللباس واذا كتب في هذه الاماكن
فتعادا اللعنة على من غيرها او سعى في
تغييرها او اشار بها فان قال قايل
ان من تقدم مل عجز عن هذه الحسنة
قل لاكن اغفلها واراد الله ان يدخرها
لنا حتى نستفتح مقفلها فكل شاه
برجلها ستناط وكل حسنة وسيئة
بصاحبها ستناط ولا منة لنا على

الرعايا

الرعايا برفع ظلامة ان رفعت كان لنا
اجرها وان تركت كان علينا وزرها
وانه جل جلاله يواخذنا بالتواني عن
توبته ويسالنا عن التفريط في احوالهم
اذ كل راع مسئول عن رعيته وقد
اجزل الله لنا العطا من نعمه التي تضطرب
في طولها وعرضها ووهب لنا السلطنة
بل الخلافة الكبرى افلا نشتري نفسنا
ببعضها ومن اخسر صفقة ممن ترك
تجارة اجزاه الخالد ورغب في عاجلة
اولاه البايدة وامر محو رسمه وان له

اسمه وان يبدل عرفه بالانكار وينوى في
ذكره نوفى الاعمار وتنسخ كما نسخت
البقرة وال عمران عنت الدبار وكذلك
فلتمح من الدواوين حتى لا يبقى منها باقية
يكشف عن اثرها ولا يسأل عن خبرها هذا
ومن الناس من يقف وقفا على طائفة من
الطوائف ربما انقرضت او بنية من
البنيان ربما انقرضت وانت ايها
الملك اذا وقفت هذا المعروف على الناس
كافة على جميع مما يملك عامة فلا ينقرضون
حتى تقوم الساعة وكلما سلفت منهم

جماعة

جماعة خلفت من بعدها جماعة والله
يجعل لك ذلك خالصا ويزيدك من فضله
ان كان تاما ويتممه لك يتجاوزه ان كان
ناقصا وهذا عهدنا اليك فخذه بقوة
الامانة التى ابت السموات والارض
حملها وما اطاقت ثقلها ولهذا
اشرب رسول الله القلوب منها تخويفا
وجعل حملها ثقيلا اذا كان حمل غيرها
خفيفا وقال افلحت يا قديم ان مت
ولم تكن اميرا ولا كاتبا ولا عريفا هذا
ايسر ما نتلوه عليك من الاساطير

ويحذرك اياه من المحاذير فليس لك الا
ان تدعو الله دعا من يبتغي اليه الوسيلة
وتقدم بين يديك صدق النية التي
هي بكل طلب كفيلة في ان يجمع الله بولا
يتك بين الكرم المرجو والمحل المهيب ويجعل
صنعك يوسفيا في اطراح عادة التثريب
ويحببك الى الزمن واهله حتى يلقاك
بكل منهما بوجه الحبيب ويكثر احسانك
في الرعايا حتى لا يكون الغريب منها
بغريب وهذا قولنا نقوله ولا نبرى
نفوسنا من محاباته مكانه والامر بالمعروف

وان

43

وَان لم يَاته اجرًا مرة وَان اتاه اجرًا مرة
وَاتيانه وَالله يجعلك ممّن مَكنه في ارضه
فقام بجدوده وَاشهده سُبل توفيقه
قبل ان تكون الاعضا غدا من شهوده وَمنّ
به حتى لا يدعو الناس الى مورد الا وَقد
شاركتهم في وروده وَنحن نسأل الله
ان يجعلنا ممّن اصاب في اجتهاده وَازداد
للرعايا ما راقب جانب التقوى في ارتياده
ويوفقنا لا رشد الامرين ويظفرنا باجتها
هذا باجرين لان القول به بيّن وَالاخذ
عليه متعيّن وها هو الآن قد اتته الايام

بما اراد ومدت القدرة يده فلا تقبض
ذلك الامتداد **والقلوب** قد
صديت بهموم الخوارج فكيبها باية التسليم
لا باية الاضداد كيف لا وقد اوصل منشور
ولايته فكان عنوان منشوره وتوقيع
سيرة سروره ورقم القابه الشريفة
اني جاعل في الارض خليفة **فعندها**
اومو اليه على الاستوا على صهوات الملك
وتمكن كرسي بحر سعادتها في امنع الفلك
فاجاب جميع معاشر اوليا الدولة
بالترحيب والتمثيل ودفعوا عن مصافحة

التسليم

التسليم الى مسافهة القليل فتلقوه تلقى
ادم متابه واخذن اخذ يحيى كتابه فاستقاموا
لاداء الخدمة صفوفا وتمثلوا بين يديه
وقوفا فمدت الحكام العلما بشريف
هياتهم والموالى الوزرا على طبقاتهم والعسا
المنصورة على اختلاف لغاتهم ايديهم
لمبايعته في انتظام الكلمة عليه وانبرامها
مبايعة اتصلت بالحكام الشريعة المحمدية
وانتسق نظامها وبسط مولانا يده
الكريمة وما زالت بالمكارم مبسوطة
وقبضها على مبايعة اضحت بها مصالح

بلاد الله تعالى وعباده منوطة ولقب بالملك
المظفر وجد ربها وقد نطق فحوى ضميره
انا اعرف بسياسة الملك واخبر واجتمع
الخلايق على موالاته بالاتفاق وامتثلت
اشاراته في جميع الافاق فسر السراير
وضربت نوب البشاير وخفقت بولايته
الاعلام وخطبت له على منابر الاسلام
وتسابقت الالسن بحمد الله على ان
جعل ذرية هذا البيت الماهول باهلة
المناقب نجوم سما كلما غاب كوكب بدا كوكب
ياوى اليه الكواكب وبسطت لهم

بالدعا

45

بالدعا حتى اكفا الروايات وتليت ايات
مآثر بيته الشريف وناهيك بها من
ايات ولما نزل الدر الدرر الخاقاني التاج
الجوهر العزيز العثماني بساحة هذا الملك
توقرت بوقور وصار من اعظم الرواسي
التي هي اوتاد الارض وتمنعها ان تمور وتهللت
به وجهها حتى استعذبت وراكها الجذل
حتى لو اعرب مكان عن ضميره لاعربت ولو
استطاعت ان تسعى الى لقايه لجانه مسارعة
او ان تبسط اليه يد بيعتها لبسطتها
مبايعة فلو ابانت عن سترها المحجوب

ونطقت بمرادها المطلوب لاقترحت ان
يورثها وراثة يحيى من آل يعقوب ولكن
هذا كله كامن في جوانحها ولا يستدل
عليها الا من ملامحها وها هي قد لوحت
له بالاقدام ولو نطقت لافصحت عنه
بالكلام **ورب صامت** افصح من
ناطق ولسان الصمت هو اللسان الصادق
ولما انتظم قواعد ملكه وشاع واشتهر
قربا وبعدا ما انعقد عليه الاجماع وفخر
باياته العصر على ما سلف من الناس واياهم
وبامامته يوم يدعو الله كل اناس بامامهم

وكانت

وكانت في خدمته اجناد بل اولاد ربوا
في حجر اشفاقه ونشاوا على غرضه الشريف
وحلم اخلاقه وثبتوا معه حين ضاقت
الانفاس وذهبت ليالى الالتباس وصحبوه
في الباساء والضرا وحين الباس وحفظوا
نفسه الشريفة حتى من النسيم ان
تسرى اليه وحجبوه حتى عن الشمس ان
تلقى جرمها عليه اخذ في تاميره جماعة
من الذين وصفوا بما وصفوا به من حسن
المحافظة وجميل الملاحظة اولا فاولا ولم
يدع احدا منهم الا وقد اصبح بجزيل النعم

محو لا وهل جزاء الاحسان الا الاحسان
وهل ينتظر بجميل المكافاة الا عند الامكان
فحقق آمالهم وجاز اعمالهم وبسط
نفوسهم واضحك عبوسهم وعجل لهم
ما كانوا ينتظرون ووفى لهم كلما هم له
يؤثرون **وقال** عندها كل منهم ما اسعد
يومى واتلى مترنما يا ليت قومى **وقوى
بهم** جاش حيشه المنصور وعدا وهم
دت
بقوة الاستعداد للاسلام امنع صور وصا
راياته بالرعب منصورة وموافقه في
ذات الله تعالى مشكورة وا لليالى والايام

في قبضة

في قبضة تصرفه ما سورة فلا يبيت
الا مستخدما ضميره في ولايتها ولا يغدو
الا متحدثا كفايته في تمهيدها واعلامها
ولم يشتغل من تمهيدها ما قرب منه عن
ملاحظة ما بعد عنه ولا النهى بازعاج
العدو القريب عن ارداع العدو البعيد
ولا الهاه ايراد ما يرجيه اليه مناصح المشافه
عما ياتي به مناصح البريد **بل فرق**
فكرته الشريفة فمنها سابق وشهيد
وصار عزمه على الاسلام حرما وسيفه
على هام الاعدا حكما ورايه في ظلم الخطوب

التي تضل به الآرا علما ويفيض من شعاب
فكره ارا محبرة اللباس ويخرج تدبيره مختلفا
الوانه فيه شفا للناس ففاق من تقدمه
عن الاشباه والنظاير واجرى الله سعادته
جرى الافلاك الدواير واحله من سرير
الملك ما احله من ملك السراير ومنحه
الله النعم الثلاثة عافية وامنا وخفضا
واثبتها في يده ملكا اذا كانت في يد
غيره عارية او قرضا ولقد صدق الله
لهجة المثنى عليه اذ يقول انه الرجل الذي
يضرب به الامثال ولا يضرب له الامثال

والمهذب

48

والمهذب الذی لا یقال معه ای الرجال
ومن صفاته انه الواحد فی عصره فی عدم
النظیر والمعدود بالالف فی عنا التدبیر
مرفوع طالعه علی الابتدا منصوب عزمه
علی التمییز وهمته مرفوعة لرفعه وعامل
الرفع هو اقوی العوامل فی التاثیر وجعل
حرمه محرما علی الاحداث والتغییر و[illegible]
بهدی عمار ورای عمرو سیرة عمر وانشرح
بدوام عزه صدور الصدور ومتضحة بنجوم
آرائه مشکلات الامور حتی دانت لصولته
رقاب العباد وانقادت لدولته الحاضر

والباد ولا زالت اوامره للايام رسوما
ومواهبه للآمال المجدبة غيوما وآراؤه
للآراء الضلالة نجوما وعزايمه للاوليا
هممًا وللاعدا هموما فلمثله تسجد
سحرة الافكار ويومن بايات فكره التي
تتلقفا ايات الانظار وها انا فقد
سجدت له وان لم اكن ساحرا بكلمي ولا
ساحرا بقلمي لاني زدت به غراما فسجدت
له اعظاما وقد يسجد بحكم الافكا
كما يسجد لحكم الاذكار لان من اعمل يدا
ليس كمن اعمل فكرا ومعادن القلوب

كمعادن

49

كمعادن الارض تخرج صفرا وتبرا ومن
ثم نكح عزم السليمى عقايل المعالى حتى قيل
فيه كل حين بالبنين والرفا ورفع درجته
عن الاحداث والاكفا وحباه من سكر
الالسنة وود القلوب بالابدا والاخفا
وجعله سعادته مستمدة من فكره الذى
لا يطول اليه يد با لاطفا ذكر

انسجام الملك للملك المظفر المالك

ولما كان الدر العزيز الخاقانى التاج
الجوهر الدر العثمانى عيون الممالك
تنسجم اليه وتراقبه وسلطنة مصر

تناجيه وفي غصونها الخلافة العظمى تجاذبه
وتخاطبه حلف الطالع والى ان لا يرى منه
ذلك الا اذا اخمد اية السليمي نار الاحن
التي لهبت في الشرق في اوايل القرن
العاشر الذي استمكن فيه الفتن واصبحت
به الشريعة المطهرة في مهاد القلق ولا
ينكر شروق شموس الفتن من الشرق
كالفلق كيف وقد حذر به سيد البشر
وانذر فقال عليه الصلوة والسلام
الفتنة من هاهنا حيث يطلع قرن
الشيطان فهو من صحيح الخبر ومشيرها

يلقب

يلقب بالصوفى وفى فساد الاعتقاد ماعرفى
وانه يسمى اسماعيل بن حيدر ابن جنيد الصوفى
وربما ارتقى وانتسب الى نسب النسب
العلوى فذكروا ان اصله اصيل فكانوا
من صلحا ونبلا اردبيل ولهم فيها الى
الآن زاويه ماوى ما يرد من الفقرا والمساكين
وابن السبيل لكن ان جنيد هذا صاهر
سلطان جهان شاه الذى كان سلطان
العراقين فلما انسلخ عنه الملك وآل الى
سلطان حسن بك صاهره حيدر فكانت
امه من جهان شاهيه وام اسماعيل من

حسن بكبيه فكان لاسماعيل عرق
الى سلطانين لكن لما تغيرت اللقمة و
وتكدرت بها نطقه التى نشا هو منها
فكان سببا للنقمة وحين بلغ حسن
روحسن الى ما عين له من الجين بالامن
الوسن **تولى الملك** ابنه يعقوب شاه
وانتظم له الامر بحسن تدبيره الذى
انشاه لكن ازهر روض حيدر بين الدولتين
روافه وانور سراج حرمته فى بسيطة
العسكرين وقلى ما كان عليه اباوه فبسط
يده ولسانه كما اختار وامتثل كل ما به

امر

امر واشار فكان لا يستتبع عثراته
ولا يهدم بنائه وعلائه لانه به بين
الركنين واعتضاده بين السلطنتين
فصارت القلوب منه جفالا والنفوس
حبالا وقد كان واثقا انه لو قارف
ذنبا لم يلق من سلطانه عقابا ولا وجد
منه عتابا لم يلق من سلطانه **لكن**
اللبيب لا يغره بشر السلطان ولو
اتخذه شعارا ولا حلمه ولو ادعاه نجارا
فالغيث يتلظى برقه وهو هاطل والسيف
يترقرق متنه وهو قاتل **والبحر يردي**

غوارمه عن سكون هياجه وركود امواجه
لكن اذا احاقق المرء نفسه علم ان ضرر السلطان
اكثر من نفعه ولو كان ملكا ا روحانيا
لما خرج ان يكون الخير من تطبعه والشر
من طبعه غير ان جيده هذا كان من
عادته الغزو الى طايفة تسمى كرحستان
وكان سيره من طريق بلاد سلطان
شروان وكان يحصل لاهلها الفساد
بواسطة تطاول ايادي اتباعه على
مال العباد فصعب ذلك على صاحب
شروان فرفع الامر الى يعقوب سلطان

وكان

وكان بين السلطانين مصاهرة
توجب الاكرام والمحاشمة والاحترام وكان
يعقوب عنده الانصاف واقامة ناموس
الشرع على ذوي الاعتساف وحين وصل
اليه الخبر ارسل اليه امير سليمان بك لقتل
حيدر واستيصال ما في ساحة الفساد
والبيدر ثم لما وقع امر المطاع موقعه
تفرق حيدر جمعه وخلى ربعه وتفرق
اولاده من جملتهم اسماعيل هذا الحق
بكيلان وكان صغيرا وحنت عليه افيدة
الدنان ونشا في حجر الخوارج ودبد

في رقعة البدع فمهر في طرق المداخل
فيه والمخارج ثم لما فاق وتنشنش
وكثر جمعه وتجشجش ومد اطناب
البدع والخيال واستمال قلوب الخوارج
والارذال وهو على هذه الحالة ومستغرق
في اللهو والبطالة ذوى عرق زواء
يعقوب وحالت المنية ما كان بينه وبين
الامنية من المطلوب وتنازع في ملكه
موج الاقارب هكذا الدهر له مفاجع
ومضارب الى ان آل الملك الى علاو بد
سلطان ودخلت الناس في طاعة

سلطانه

53

سلطانه من كل مكان وحين امكن له
الملك من مهاده وتفرق عسكره في
بلاده قال اسماعيل اى يا قوم انى انست
من طور الخيانة ملك الاحوال وتمايل اليها
فاحتال على اهل بجده وغوره ثم احتال فوثب
على وتد سلطان على حين غفلة عند ذلك
الفرصة وهو في تخت ملكه تبريز وكانت
الكسرة عليه وعن ملكه نصة وبشراب
عذره غصة فاستولى اسماعيل وبرز
وعلى تخت تبريز فاقام دولة الخوارج
فسالوا اليه من كل حدب ينسلون

الذليل منهم والعزيز ثم احتشد كل
منهما واضطرما واصطليا بنار الحرب
واصطلما فكانت الكسرة ايضا على علاوند
ثم لما قل اتباعه من العسكر والجند ورأى
ان الامر قد انقاد للخارجي واستقر
قصد ديار بكر وكان اذ ذاك سلطانها
قاسم وثغر ملكه بارتسام السنة باسم
فحصل بينهما المجال والتجال وكانت
الكسرة على قاسم واستقر ملك علاوند
سلطان في ديار بكر وبعده اقارب
رهة من الزمان ثم استولى عليها

مدة

54

مدة من السنيات من ذى الغادرية على
دولات فلما بلغ اسماعيل ذلك لم يزل له
حاجبا ولا عاصبا لهذا الارث ولا مستوجبا
ولا واجبا قال فانى للغادرية ملك الاخوال
واولاد الخالات ففر له من الغدر امكر
الايات فرماه باسوا البدع وابدع عليه
المصيبة فتوجع وقتل منهم جماعة
وفيهم ولده فكانت الكسرة عليه وعنا
عن ديار بكر رجع لما لم ينل فيما امله سعد
وهذه الحكاية متقدمة لما اذكره بعد
ثم لما خفق جناح عدوه الى هذا الطريق

وساعده الاتفاق لا التوفيق بان امره
وما استعجمه واستولى على اكثر نحوت
ملوك العجم منها انه افترس بنيابة بدعه
اليابس على فلك فارس واستولى على تختها
شيراز وعلم بها لاعلام البدع تزود الزندقة
مفوقة الطراز ومنها انه خر من سماء غدره
على شيبك خان واخر راسه من اعلى جثته
وانتزع منه ملك خراسان واستولى
على تختها هراة ومن اعمالها بلخ وغيرها
وسمنان ومنها انه اجرى جرء الخروج
على جزيرة جرون والى ماوراء النهر

وجيحون

وجيحون واستولى على هذه الممالك وغيرها
بالمكر واشرف شرر شره على ديار بكر
واصرم وقود البدع في تخت تبريز ودهب
نضارة وجه زمن الابريز فشهد بنكر اعماله
نص الوجيز واشار المتكلم على المجيز الى فتق
من ارتتق من امشاجه بدلائل العزيز
كيف لا وقد استطال على البلاد والعباد
واهلك الحرث والنسل واظهر البدع
والفساد وتناقل الناس من حديثه
الذى ساذكره وعظم [illegible] وتفاحش
خبر ذلك حتى شبه بلده سدوم ونحاما

الناس تحامى الحرب والمجذوم مع ما فيه
من الاعتدا بالدين وسفك دما العلما
الذين هم حملة شريعة سيد المرسلين
ونشر اعلام الاذى على جميع من في سياج
بقتل الاحيا منهم وحرق عظام الموتى
الى من نحى الى بدعة ونما وراح ما كان
بها من النضرة والارتياح واصبح زهرة
الدين هشيما تذوره الرياح وهذا
من اعجب ما يحكيه من راه ويروى
من سمعه وحق على الله انه لا يرفع شيا من
الدنيا الا وضعه وبالجملة انه راس

العشاق

56

العشاق واعتق العتاق وصار من الدين
مارقا وفي بحر الغواية غارقا فانه لما ارتسم
بالتغلب بسمة الملوك سلك ما يليق به
من السلوك ونزع اثواب الارصاف وسلط
الاطراف على الاشراف واذل العزيز والكريم
واهان الخطير والجسيم وارتاع به الموفود
وارجع الامن والسرور وكلف ادخال الجمل
في سم الخياط ولم يرد ذلك من النصارى
الاسقاط ولهود الذين يدعون انهم
ابنا الاسباط ومن ابنائه على ما جا من
الاخبار المختلفة والموتلفة والابنا التي

جاتْ برود يردها بامائر الصدق مفوفه
انه كثرت عليه الشهادات بالزندقة و
وشاعت عنه اقوال وافعال اصحت بكفره
مخففة وسابق شرر بدعه اسبق من
جياد الخيل ومال الى احداث الفتن
والحرق في الشريعة المطهرة كل الميل
وان اتباعه من الفجرة والفسقة ولم
يمازجهم الحنو للانام ولا الشفقة وما
البسهم الله الا ثوب النقمة ولم يشمهم
شيا من روايح الرحمة ولا يفقهون من
قولخبة البرية ويمرقون من الدين

كما

57

كما يمرق السهم من الرمية فانهم اناس
ليس لهم من الدين الا اسمه ولا من الاسلام
الا رسمه واذا تعقب عن احوالهم وجدوا
على المعصية موضوعا ولغير ما شرعه
الله تعالى ورسوله مشروعا دبوا عن على
رضي الله عنه فاسلموه واخروه اذ قدموه
وهو لا وضعوا الاحاديث فنقلوها واولوها
على ما اولوها فتبع الآخر منهم الاول
على عمه وقالوا انا وجدنا اباآنا على امة
وصارت الارض ترتج من بدعهم والجبال
تستعيذ من ملاحدتهم والسما ترتعد

من فوقهم والاكوان تستاذن الحق
في تدميرهم واعربت قلوب اهل السنة
ببغضهم واوليا الشريعة بتناول
عرضهم حيث ارتاعت منهم ساير الملوك
واضطربت وطلعت شموس العجز عليهم
وما عربت اما ما كان من ملوك مصر
فانهم يعدون الامارة تجاره ويرون
فضيلة الجهاد خساره وينهون عليهم
انفاق الاعمار في جمع الدرهم والدينار
والوقوف في طلال الذم تحمي دراهمهم
ولا تحمي الذمار ولطال ما ذبذب

لهم

58

لهم البرد الدار بفناء الدار وبها الاجتهاد
بها عن الجهاد احجموا واسرجوا خيل الجدال
والجموا وعلى ظلمة المظالم تهجموا وعن
اغاثة المظلوم اوجموا ولم يعتبروا باخبار
الذين تقدموا حيث هجمت عليهم صروف
الحوادث فعدموا فتلك بيوتهم خاوية
بما ظلموا وصارت مساعيهم في جبهة
الدهر طرازا وهل تحس منهم من احد
او تسمع لهم ركزا واما ما كان من
ملوك الروم فلا يخفى من اعراب عوامل
رماحهم عن تشييد اركان الدين

واعمال الحروف سيوفهم رفع اعمال
المجاهدين وخفض رقاب المعاندين
فهم في مجادلة الفرنج الذى احاط
بالبلاد احاطة الشفاه بالثغور وترل
على البر والبحر نزول الظلما على النور فجدوا
في محاربته بره وبحره والحوا في مضايقته
حتى غلوا يده الى نحره ولولا ذلك لما
غدرت على الناس حام جوارح الالتباس
ولا تزلزلت اقدام الانفاس عن الاساس
لا زالت الدنيا تموج بمواهبهم وتفوز
بكتايبهم ولا يزال الدين يحلى بمناقبهم

ويجمى

59

وَيحمى بقواضيهم ثمّ لما تناءت الملوك
عن مجالدته وَاحجمت عن مقاومته وَتعود
الكون من افته وَاصفر نضارة الزمان
من شقاوته صعب على المسلمين حينئذ
اخباره وضاقت على اهل الشريعة لا
سيما من في سباجه الارض وَاقطان
وَهم في وجل عظيم وَاحتوى عليهم
ليلهم سحابه بهيم وَلما لم يجد وا ابدا
من الجد في تنفيس خناقهم او تخفيف
وَثاقه وَقد قام بين اظهرهم مدّة
وَهم ينتظرون الفرج بعد الشدّة

لهجت السنتهم الى الابتهال التي ترفع
قوادح الاعبا وطب الهياكل انفع من علاج
الاطبا فانه هو المركب المنجي والعمل المرجوا
لا المزجى تودوا عندها في ضماير الصدور
ابشر وابانة من سوقي العصر منه بوفور
ممن يتمهد لك الملك بل الخلافة ما كان
على غيره نوعر واوعدته القدرة اذاقة
اعدايه ما ساء امر ولا ينتصر في بغيته
بغوايل الليالي بل باسنة العوالي ولا
يتوقع مراده بمطالع الكواكب بل بقواطع
القواضب وتغنت الامة وتحلى لبيلة

هذه

60

هذه الغمة ويجيء بعد له اماما في البشر
ويعين بعزايمه اهل البدو منهم والحضر
فعند ذلك تمايلت آمال الاعناق
الى ان ينشا اصل هذا الاشفاق ويجود
بنفسه ويتجشم هذا المشاق فاذا هم
بالملك المظفر الذى قام في خدمة الامة
والناس تعود وحاكم اعداها والايام
شهود وبين الحالتين مسافة بعيدة
لا يقطعها الا من شهدت نصاريف
الاحوال بفضله وما الذى يقول انا
ولى الامر بلسانه كالذى يقوله بفعله

وقد نقلد من مناقب فضله ما تقلده
من حمايل نصله فهذا يقضى بتنفيذ حكمه
وهذا يقضى بامضاء عزمه وكلاهما
سيف في قطع حده وروق صقاله
فهذا يجرده في يمينه وهذا يجرده
في شماله حتى فاق على من سبقه عينا
واثرا وهو الشمس النازعة اذا كان
غيره كوكبا او قمرا هذا وقد صارت
ماثره للمادحين امالى ومفاخره في
جيد الدهر لآلى ولياليه في الاناة
اياما وايامه في السكون ليالى جعل

الله

الله الايام لهُ اترابا والبسها منهُ زهوا
واعجابا وانزل عليه من سما المعالى
كتابا وقرنه بدرجة من اذن له الرحمن
وقال صوابا ذكر احتفاله
لقصر سودة الصوفى واستقباله
ثم لما اراد الله تعالى ان تخضع لهيبة
مولانا رقاب ملوك الغرب والشرق
ومتوجا بظهر باشراق جبينه ما بين
الملوك من الفرق واذن الله اليوم الذى
كانت تلحظه عيون الامال والشهر الذى
كانت ترقبه طلوع الهلال والعام الذى

اغاث اهل السنة بسمنه بعد ما تقدم
لهم من الاعوام الهزال استعد الدرر
العثمانى لقصر سورة الصوفى الذى
هو من درن الطوية ما عوفى استعداد
يقضى عليه بالسكون ويسمع من استعداده
وسده ما قامت فيه اسماعه فقام العيون
وهو يحرض باستنجاد المجاهدين
ويهز النصرة الشريعة المطهرة
عزمات القاعدين وحين تشوف
عزمه الشريف لهذا المهم الاهم ولهذا
المقصد الاتم الاعم عم التغير وتهيا

المسير

62

المسير فقال لا ينبغي لمسلم ان تشغله
ريحانة فؤاده عن اجر جهاده ولا يمنعه
حب كشيه عن نصرة ربه فلا يحل لاحد
ان يهن عزمه ويدعو الى السلم وليعلم ان
السلم في الاسلام ان نجزع لهذا السلم
فارسل الى امم عساكره ان يستوفزوا
وياخذوا اهبة الرحيل ويتجهزوا واقبلت
كل امة دعوة رسولها وشنقت باقراط
مراسيمه اذان فنوى لها فخرج كل رجل
منهم جيش في عزمه يقاتل في سبيل
الله لحماة دينه وقومه كل منهم مجرب

باهوالها غير مبال باوجالها وصار في
جحفل عظيم ومحفل عقد سلكه بالاكابر
نظيم كانهم نشاوا في حجر الصلادة وزفلوا
في حلل السيادة بالسيوف الماضية
والرماح لبست الا بالارتوا من دم
الاعدا راضية والقسي الممتدة الاعناق
من خزاينها والسهام المهتم بالطيران
من كناينها والسيوف الى تسويف امالهم
متلامعه والمدافع الى دفع سورتهم
متدافعة والبنادق الى فتق من ارتق
من ابدانهم متدافقه والسبقيات

سحق

سحق اسيافهم متسابقه والاعجال الى
اعجال اجالهم متعاجلة والمكاحيل الى
كحل اجفان مرامهم متماحلة والعربيات
الى اعراب حروف مفاصلهم متقابلة
هذا وقد حضر اسود الغزاة والشواهين
من كواسر جيشه والبزاه وجميع الامرا
وارباب السناجق واصحاب الرايات
ورؤس الغيالق وعظما نواب البلاد
والامكنة ماهو جار تحت تخت استنبول
وادرنه ان تعملوا مصلحتهم وياخذ واحد زهم
واسلحتهم فلبى كل بالاجابة وبادر الى

امتثال بالطاعة والانابة لا زالت الاقدار
تهيى لهم في كل يوم من السعادة مطلبا
وتجدد لهم من اسباب الظفر مركبا ويرى
كل منهم من بركة خدمته الدر الدرر
العثماني ما يقول معه انى رايت احد عشر
كوكبا وقد سمح لهم من الذهب والفضة
بما ملأ به ايديهم وفروا وافيد تهم صبرا
فاصبح انفاقه في الدنيا مخلفا والثواب
عليه في الاخرة مضعفا وقد تكفل
الله تعالى باخلاف النفقة في سبيله
وعوض المنفق بكسب الثواب عن قليله

وهذه

وهذه درجة لا ينالها الا من رغب فاوغن
لا من سمع فاعرض وهذا من شيم التاج
العثمانى الذى قرن الله له النصر بلوايه
واصحبه السعادة في ظعنه وثوايه فلما
ابرم عزم الشريف الخاقانى بذلك
وشاع ووصلت مراسيمه الشريفة
الى صاحب مصر تغرب لحفظ نواحى حليه
واستمداد الدعاء له وفي الحرمين
وداع لهجت الالسن له بالادعية الصالحة
وغدت الخلق بما في ضميرها من حبه بايجه
من بعد البلاد وقربها وعلى منابر الاسلام

من شرقها وغربها باستمداد النصر
له والثبات وتطمين النفوس باعلاء كبرى
الكلمات فان النصرة بالدعا معروفة
وعليه موقوفة وكان ركاب الشريف
اذ ذاك في تخت ادرنه في عنا التدبير
ما يزيل لبسه ودرنه فاستخلف نجله
الذي هو ثاني الملك محلا وتلوه عقدا
وحلا انتظم له السلك وهو الملك المظفر
سليمان ونزله في ايالة الملك بمنزلة
هارون من موسى والحذار من لعل
وعيسى وكان ينفرد به في التدبير

دراجه

ويراجعه في الجليل والحقير ويعمل برايه
ولا يخطي ويرسله الى المصالح سعيد
اشاراته فيرجع ببلوغ الارب ولا يبطي ثم
اجد في المسير واستنشق عرف النصر
المثير فركب وقال بسم الله مجراها ومرساها
بعزايم تؤذن العدى ببوساها تقدمه
امراده الذين كانهم اسود غاب او غيوم
سحاب ووزراوه الذين هم نجوم ليال
او عقود لآل وهو في موكب حف به فحول
الاقيال واقيال الفحول فاجرى من
عساكره السيول الى جهة استنبول طالبا

الى تعدية اسكودار مجرباذ لك العسكر الجرار

والبحر الزخار الذى يحجب بين الشمس وبينه

ويمنع من قصده ان يمد يده او يمد عينيه

قاصدا طريق قرمان في جيش ضاق عنه

الفيا فى الخالية والعمران الى ان حل ركابه الشريف

في قراحصار اقام بها وحين يكامل مدده

الجرار ارتحل منها وقد استوى من

بحر الهرج رويه من جهة القيسارية

بجيوش اشهى الى لوغى من الاسود الضارية

ولسان الحال يحرضه ويقول فليقض

مولانا ما هو قاض وليرضى السيف فانه

يرضى

66

سيرضى مهما هو راض وليستقبل هذا
الامر في وجهه ولا ياخذه بجوزته والحكم
فيه بالحكم الموسوى في بطنه وكزنه وقد
كفاه الله من تسهيل امره ان العدو واصبح
على وضم او كبقل في موطن قدم وان فوات
الفرصة لا ينبغي ان يضاع وليست
كالسلع التى تشترى في كل وقت وتباع
وهذا وقت انتهاز الفرصة واساغة
والقلوب قد صديت بتلبيس الخوارج
فكيرها هذا العزم الذى هو مدارج
المعارج وهذا عنوان ظفر يتلوه كباب

وبارقة نصر يتبعها شهاب هذا ما كان
من عزم خلص العباد ومن تجرّع كابة كبد
الخارجي في الاكباد من سوء ما ساوى
به على جملة الشريعة حتى اذوى ما في
رياض جنان السنة المربعة من الوديعة
واما ما كان من امام الخوارج فانه
لما وصل اليه العزم الشريف طير اجنحة
الندا في ارجا افاق من انطبع فيه سجية
البدع والصدا فلبى دعوته العام منهم
والخاص وكل بنا وغواص وجا من ذلك
الندا امواج البدع من كل مكان واجتمع

من

من اعيان اولئك الاعوان كل مقتطف
ثمر خلاف مشروع الاديان في تحقيق
مفاهيم هذا الخبر وقد طال هواجس
الرعب في ليلهم السمر ونشر كل من هذه
القضية طيها وغاص في اراء رايه السخيفة
بحر رشدها وغيها ثم استقر راى
الخاص منهم والعام ان ريحانهم الطعن
بالخنجر والصمصام فقالوا نحن قوم لنا
الباس والشدة والعدة والعدة وان
الشجاعة تستمد من افق ساحتها ونستبان
بسند الايالة في اراء براعتنا وسترون

ما اليه الامر بول ولا يوهلكم شان صاحب
استنبول وقد سيد الوزن اسم صاحبنا
بافضل ويا له مجدا قال فيه الدهر الطويل
عمره عنده وبنيه الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر اسماعيل ولم يشكوا ان
الدولة قد دارت لهم وان نجوم السعود
قد خدمتهم لكن غفلوا ان حساب الدهر
غير حسابهم وان النوايب قد دارت على
اعقابهم وقد نفخهم الشيطان في
معاطفهم نفخة وقالوا هذا يوم لنا وما
بعده معتقدين ان الله تعالى بسط ايديهم

في البلاد

في البلاد ويابى الله الا ان يقبضها
ويتم نوره لصلاح العباد فبينما هم يبرمون
امرا ويبغضونه ويشكون في عزم الشريف
ويأتمرون فيما يمضونه ويمادروا ان عزم
الشريف شروع العزايم حنفي المذهب
في الالتزام وما بدا اوله فلا بد ان يتبعه
الاخر بالاتمام شاع في بلادهم صيت خبره
وعمت لصوت حذره وحين سار على
سبيل سيواس وقد حد عزمه على شاه
العجم سكاكين الباس تحققوا عزمه
الذى يتير عقد الاجتماع وتشهد بوفائه

الا الآن قبل السماع وقطع فيهم شباه خوفه
قبل ان يقطع فيهم شباه شفاره وكثر
في صدورهم بحر حربه قبل ان يغرقهم
بتياره ثم لما مر ركاب الشريف
على درنجان واشرف على ترجان نهض
العدو بامنع زي للصفاح وتظاهر
بانواع من العدد والرماح كل منهم
مستليم وهو كقطع من الليل المظلم
ويلي عليهم لسان التحذير فاين تذهبون
وان جندنا لهم الغالبون فما اصغوا الينا
منهم ان امرهم رشيد وطالعهم مكين

سعيد

سعيد وحين وافا ركاب الشريف على
ارزروم وقد حرض عزم عساكره المنصورة
لقضا الروم وقد جعل الله سعيه نورا
ورفع له منار الهداية طورا واربح تجارته
يوم يكون التجارات بورا وضرب بينه وبين
من صد عن اقتباس من السنة سورا
والحقه بعباده الذين استجابوا له وكان
امرهم شورا ثم لما اشرق ركاب
السلطان على ميدان صحرا جالدران
بعزم رقل بجلامه في غدران فتلا في
ليل الظلام وليل القتام وتقابلت

شهب السما الطالعة وشهب الرماح
اللامعة واخذ كل من الجيشين حذره
وتجهز للمقابلة والمقابلة امن بات
الدره والخاقانى بشير النصر له انيسا
وترجمان الظفر له جليسا ولم يزل
والليل قد مد رواق الظلام قايما
على الاقدام في خدمة الملك العلام
حتى انتصف الليل وطلع نجم التسهيل
لتسهيل الويل ولسان الاجابة يتلو
عليه ويمدك الله بجنده ولم يكن الامداد
بمريب وموعدك الله بجنده الصبح اليس

الصبح

70

الصبح بقريب فاصبح وهو في قوته المنبعث
وارواح الشياه في اجسادها ودبعة
ولو سمعوا ما سبق لهم من الانذار لما اتوا
للمبارزة مظهرين ولو علموا اسوء صباحهم
لولوا عشيا او سحرا من قبل ان يقرا في
حقهم وسا صباح المنذرين ذكر
المصاف وما اشتمل فيه من الانصاف
على ذوى الاعتساف فلو ان الاوان
الذى كانت ترمقه عيون الايام وحان
الحين الذى تدانى فيه تحرشيا لا
الاعجام وقد سل الصبح حسام

فجره وطار غراب الدجى عن وكره وتقابلت
انوار الشمس الطالعة وانوار النصر
اللامعة ركبت خيل الله وخيل الشيطان
فهذه متمسكه بقوله لا غالب لكم وهذه
مستبشرة بيوم الفرقان فتزين
الافق ببروق الحديد واسنة الرماح
متلالا في حماة الشريعة المحمدية
انوار النصر ولا يتلالا المصباح كيف
لا وهو يوم السعود واليوم الذي
جمع فيه الناس لاعلاء الشريعة المطهرة
وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم

مشهود

مشهودا الذى هو مواطن الظفر بعزم
الملك المظفر ومكان النصر الذى تحدث
عنه السمار ياطيب سمر رواه العدو وبعيدا
ويراه العزم العثمانى قريبا وقد تدرع
بسوابغ النصر والابتهال وبوا العساكر
المنصورة مقاعد للقتال وقدم من
اطلابه الافيال وصنف العساكر اصنافا
وجعل كل ذى حزب الى حزبه مضافا والحق
القلب بالكماة والابطال واحكم مكانه
واعتد لمنازل النزال وقوى المقدمة
والمؤخرة وزين الجناح بانواع من العدد

والالات الكفاح فصار المصاف الشريف
بسوابغ النصر مرفل وبتمكين التام مذيل
ووقف التاج العثماني في موقف المنايا
على جواد من الخيل شديد القوى والحيل
وعليه درع ضيق الزرد لا يعمل فيه الصادم
المهند متقلد بسيف ابتر معتقل
برمح اسمر وانوار النصر تلمع بين يديه
والهيبة تشهد له لا عليه كانه البدر
في منامه والفجر في ابتسامه وهو
يبتهل الى الله تعالى في طلب النصر
والتاييد ويتضرع اليه في ذلك

الموفق

72

الموفقا الذى ماراه الامن هو في الدنيا
سعيد وفي الاخرة شهيد وامراؤه
ايدهم الله تعالى تراهم كالاسود وقد لحقتهم
من الله العناية والسعود وعساكره
المنصورة صابرة على كل بلية لايرون
الموت في طاعة الله ربه وهم على خيول
عربية وفي مشيها رياحية وعند حربها
برقية فهي تحمل من الحديد بحرا ومن الرجال
جمرا فلا ترى الا بحرا من حديد ولا يشاهد
الالمع اسنة اوبروق سيوف يصيد
الصيد ثم لما تراالجمعان وتنازل

الفريقان اقبل العدو وخذله الله تعالى
منتهضا وجامعترضا وهو يحمل من الاسل
غابا ويجدد للقاطفر اونابا واسمعهم
صلصلة رماحه قبل صهيل خيله وقد
اعتدلمناواة الكفاح قبل صباح ليلة
هذا وقد زادت اطماعه وكثرت اشياعه
اذ رآهم ادلجوا من مدى بعيد وما درى
انهم من الله بمدد مديد فلا حرج على
المخبر عن كثرة عدده وشدة جلاده و
وطول جلده وعليه من الدبياج المنسوج
بالذهب وهو يضئ كالكوكب وبين

بيديه

73

يديه من علوجه افواج وقد تظاهروا
بافخر الثياب والديباج واما الباقون
من ايمة الخوارج وعفاريته الذين
عرجوا من سلم البدع معارج فانهم ركبوا
خيلهم وتظاهروا بزينة سلاحهم قبل
صباح ليلهم واشتدوا وتوزعوا وعلى
شيطان الخوارج اسرعوا وعليهم من
العدد ما شاكل النهار وطار من وقع
سيوفهم الشرار بعزايم كالسيوف
الحداد لكن جا المحذور ولجمد الله تعالى
وهو الحذر لان على موافا وجا التاج الحنكا دى

والنصر على ميعاد ثم التقى الجمعان في
صحرا جالدروان بعزائم لم يشبها في الحرب
نكول ولا تقصير وكان جمع الخنكار ولله
الحمد جمع السلامة وجمع عدوه جمع
التكسير واعجب من ذلك ثبات اقدامهم
بين يدى الخنكار الذى حجبته المهابة
عن الابصار وضربت عليه الاستار ولبس
دونه من استار ثم انصرم نار الحرب
واتصل اللهب باللهب وحمى وطيس
الحرب وفتحت عيون الطعن والضرب
ولست ترى الا هاما طايرا وجوابا بيض

هاما

مايرا فلا تقع بحجب نظر المتامل ولا ارض
نقل جنب المنجدل وغنت السيوف وابرزت
المعاصم والكفوف فلم تزل الا لبا مطاشا
ورا سامحاشا وموارد دم يرده الصوادم
عطاشا وليل نقع جعل النهار لباسا
والارواح معاشا والسيوف قد
فارقت الاغماد واقسمت انها لا تقر
الا في النفوس والاسنة قد اشرعت
وآلت انها لا تروى ظماها الا من دماء
النفوس والسهام قد التزمت انها لا
تتخذ كنائنها الا من النحور ولا تنقوض

عن حنايا القسي الابخي الاضالع او الصدو
والدروع قد لزمت الابطال قائلة
لا افارق الابدان حتى تبلى الخنكار سورة
الفتح المبين والجياد قد حرمت وطى الارض
وقالت لفرسانها لا اطا الا جثث الموتى
ورؤس الخارجين ووزراؤه اعزهم
الله تعالى لم تخلقهم المصادمة بتطاولها
ولا اثرت فيهم وطاة الحرب بتثاقلها
وهم بين يديه الواهمم في الحرب وذو
عزايم يجاهدون في سبيل الله تعالى
ولا يخافون لومة لايم وما ظن كل منهم

لا

75

الاجنة عرضت عليه ليدخلها او نفحة
من نفحات الله التى امرنا بالتعوض لها
وما فيهم الا كل بطل مذكور وفارس مشهور
يعدون المصابرة في طاعة الله تعالى
وطاعة سلطانهم غنيمة جمعت لهم
اسباب الفخار وما منهم الا من تقال يمين
ما آتاه فقال ذلك ما كنا نبغي كما قال
موسى لفتاه الا انه لم يرتد عنده ذلك على
اثره ولا سال عن الحوف وخبره ولا افتقر
الى اتباع الخضر وقد جاهم النصر
بعلم خضره وجبين ههوا بالجملة وحققوا

وقدموا همم النفوس الى مرضات
الملك القدوس واستبقوا وزاحم
بعضهم بعضا ولم يتفقوا نودوا في
اسرارهم من المؤمنين رجال صدقوا
كيف لا وقد لزموا مواطن الحق فاقاموا
وقالوا ربنا الله ثم استقاموا هذا
وقد بسطت العساكر المنصورة املها
الى مليكها الذى هو امامها ومولاها ومن
يدعى به في اخراها ويرعى به في اولاها
وسالته في امدادها بنجدة من دعواته
التى هى انفع من نجدة الرجال وامضى

من

76

من السيف السيال وتكون لهم عونا
من الخصم ولدده وريد نكثه عديدة
على كثرة عدده وبذلك جرى جميل سننها
وايقنت ببلوغ مامولها وايضاح سولها
والموت بين يدى مولاها اصل منيتها و
وذلك عند ما فاتش الجراح وكثر الوقع
في طلايعها والرماح ونطق الحال
عن الخنكار بلسان الاعتذار وقد
ربما اتى الخنكار من عجايبه بكرية وتعويله
على عوايد تصرفه والحمد لله اذا اصيب
في طليعة الجيش لا في عينه ورزى في بعث

زبدة لابي في يوم جنينه وهذا كسر لا يجبر
وذنب للايام يغفر وان تصدق عما فات
وينظر ما هو آت وان يركب في جيش من
عزمة الصبر وسعة الصدر فانهما اقوى
مددا واكثر عددا واغنى في تشتت
شمل العدا ولو كانوا اولى البدا والقصد في
قصر سورة البدع ان يمضى فيهم حكم المدفع
الذى تقتضى بعلمه ويعدل فيهم بظلمه
وان يستعمل معهم انتهاز فرصة الامكان
لا اتباع رخصة الاحسان ولين سخط
مولانا بما جرى فلسوف يرضيه المدافع

١٤٠

بما يرى من نصر سيموا اسموا الابصار والطا
وتغنى عنا الاعقاب الصالحة وتبقى على
الايام والايام غادية ورائحة وهو خلد الله
ملكه لا يهمه ما اهم ولا يلم به ما الم وكانما
حل في ستر محجوب اوسكن الجنة التى لا يمسه
فيها نصب ولا يمسه فيها لغوب وقد
جمع الله له في هذا المقام بين غمى وبترى
وكان لمن تامله راى فيه لمن وقف
في شفيرى النار اولا ثم في الجنة اخرى
هذا وقد اخذ بشماله عنان الجياد وبيمينه
سيفه الوقاد حتى استطالت قد تما

في اجفانها فاشتاقت خيله الى تبديل
لحمها بارسالها وخروجها من صورة
العقارب تحت خرصانها وهو يردف مراكبه
بحملاته وتقدم فتخشى الاعدا مواقع مهابته
وترجوا الاوليا منافع هباته ويروى
غمران الموت ثم يزورها ويمر في مجال
المنايا فتحلوله مربوها ومرورها
ويقاسم سيفه العدى شر قسمة
يعلى عاتقه غواشيها وفي صدورهم
صدورها فامضى فيهم امر السيف
الذي يجور وانقضاضها وهذا يباري

في الحكم

78

في الحكم وهو برئ من الاثم وان ايادبه
الشريفة بح احداهما المنايا احمر والاخرى
بح المنايا سودا وهذا ايبارى النجوم
السحاب جودا وما منهما الامن يهب
وينهب ويرجى ويرهب فهو من نعم الله تعالى
فانه السيف الذى لا ينفصم والرمح الذى
لا يحطم وعزمه هو الجيش الذى ينتصر
به جيش المنهزم واقدار الرجال على قدر
اوصافها ولهذا اعدا الافها باحادها
واحادها بالافها هذا وفي الانها قد
استوسقت البارود وحيز التهبت

وتهيأت للوقود وانتصبت فيها الرعود
لفظت ما فيها من اعلام النصر وهي ترمي
بشرر كالقصر شبه الجراد المنتشر او
السيل المنحدر مما يفتت الاكباد ويمنع
الوقوف والجلاد ما في كفايتها وتنوعت
وهيجت نار الكروب ما في مكاحيلها
وروعت فاوجلت القلوب ما في سبقيانها
وصدعت واذهلت كل مرضعة ما في
صعقات مدافعها عما ارضعت وقد
انتشر منها اخذ الظلام وتدرع به
الجو كالغمام فاقامت من اهوالها من

حلس

79

حلس واحلست من قام وازتجت الافاق
وترل على الحوارج مالايطاق واشتبكت
في صدورهم بنادق الرقا الرقاف
وبلغت ارواحهم الى التراق من عظم
الصياح والزعاق واصحب الوجل الغاضع
واني بما هو عن القادر صادر وللقلب
الخارجي صادع وزاد امره فاعزب
حتى تخيل لمن راه ان الوعد قد اقترب
ثم لما عاينت الناس تتصاعد الى البدع
حمرات الانفاس كلو اهذا من اشراط
الساعة فطوبى لمن لازم السنة والجماعة

ثم وقعت وصرت في بحر امواج البدع
طريقا وراحمت رحمة جعلت فضاه
مضيقا ولين سلفت ابة بضرب طريق
في بحر من الما فهذه للاية بضرب طريق
في بحر من الدما غير ان تلك كانت للعصا
وهذه للسيف وما منهما الا حل مخل
التعجب فقيل في سؤاله كيف ولقد
اضطرم من السنة والبدع جبل وجبل
والتقى من مجاجهما طفل وطفل هذا
وهم فيه كقطع اللحم والقلوب
ذائبة كما يذوب الشحم فانشوى

به جماهيرهم والصناديد واصبحوا صرعى
على الصعيد فاحترق نسل البدع بنارى
مبيد من وقود البارود ووقود الصارم
الحديد يتلظى قلوبهم عطشا وجوعا
ويكادون من شدة الهجير يشربون
من سيل قتلاهم نجيعا من لفح الهواجر
ولفح البواتر وحمى الوطيس ومن العجب استحوذ
على الخوارج ابليس وبالجملة جاءهم الامواج
من كل مكان حتى تحير من هنالك من الانس
والجان وفتل القيل والقال سبحانه
من كبير متعال خبير بما يريد فقال ينبئه

مَنْ حَادَ عَنِ الطريق وجَال وَيظهر الاباة
لمن مَان وعَن الحق مَال وَهبَ عَليْهم ريح
الفنا وَتزعزع مَا شيده البدع من البنا
فاوقعهم الله تعالى في خبال مكرهم وَاتاهم
عزم الخنكار من الحصر وَالضيق ما لا زاق
مدة عمرهم وَاطهرهم حر البار وذوقا بادهم
وَنقل الى طاحون الغنى منهم من استكمل
دياسهم وحصادهم وَطغى بهم الخطب
كما طغى المآ وما بكت عليهم الارض وَلا
السما فكان العون من الله عليهم بما
سلف وليس منهم الا من اعترف بما

افترق

اقترف وندم على ما سلف وهم على تلك
الحالة وقصدهم بطلب الاقالة اذ نادى
بهم منادى خذل الخارجى ونصر الدور
العثمانى ففتح الله تعالى عند ذلك ونصر
وبهت الذى خرج عن سوا السبيل وكافح
الملك المظفر ونكص الشيطان بريا من
حزبه خايفا عقاب ربه وايد الله الاسلام
بنصره واعاد عليه يوم بدره ودحض
البدع بقهره **ثم انكشف الامر**
وحمد وانطفى شرب ذلك الخمر عن يوم
احمر ونصر ابيض وموسم فخر لا تنقضى ايامه

وَلا تنتقض بتاييد الملك المظفر بالنصر
المؤزر وَاحل عزمه المنصور الحمام بساحتهم
وَامتدت الايادى الى استباحتهم وما
انقضى بحمد الله ذلك اليوم الا وَالنصر
قد خفقت بنوده وَالحق سبحانه وَتعالى
قد صدقت وعوده وطاير الظفر قد
رفرف بجناحه وَطار باليمن وَالسرور
وَنسيم الريح قد تحملت رسالة التاييد
فسارت الى الجيوش المنصورة بالصبا
وَالى المكسورة بالزبور ثم وَلوا الدبر وَ
وصارت لاقلام الرماح ظهورهم وَهم

الزبر

الزبر واستبشرت العساكر المنصورة
بفضل الله المبسوط وامتدت آمالهم
بعدما اعترضها من القنوط وهي في اعقابهم
تقتل وتاسر وتبدي في استيصالهم
بكل عزيمة وتظهر وتنظم اسنتها برؤس
القتلى وتعقد لها على عقايل النصر فترف
لديها وتجلى وزحفوا عليهم زحفا وقا
تلوهم كما يحب الله ورسوله صفا فادركهم
العزم الماضي الغرار وتلى عليهم لسان
الحتف قل لن ينفعكم الفرار وعليهم
غبار العثار ثار وخبرهم بالانكسار

ساروحين علم الخارجي ان الخنكار طالب
دماره وهالك دمه وذماره وسالب
داره وديار ه ولى خايفا على ما بقي من
يده على الاطلاق كيف لا ومن حصايبص
ديننا سرايه الاعتاق فقتل منهم
من قتل وانهزم الباقون وجا الحق
وظهر امر الله وهم كارهون فغلبوا هنالك
وانقلبوا صاغرين وضاقت عليهم
الارض بما رحبت ثم ولوا مدبرين
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد
لله رب العالمين ذكر فك احرام

غزنه

83

عزمه المستنجم بذبح شباه العجم ولما
انفك عزم شباه الاحرام بطلوع ليل النصر
بتابيد الملك العلام وقد اخذل الله اهل
اللام ببركة سيد الانام وتنادوا بالانفصال
ونادى لسان الوعد الصادق وكفى الله
المومنين القتال وبادرون الظلام بون
الشمس بالانتقام والتقى على صفحتى الكون
عارضا الليل وقد بطلت البدع ارجلها
والخيل الجاف اخذلهم الله تعالى الى هضاب
اعتقدوا ان فيها النجاة وقد البسهم
الخوف ثوب الاغنم واغراهم تتبع الوهاد والاكم

فلم يروا وهدة الا دخلوها طلب الاكتتام
ولا اكمة الا ارتقوها طلب الاعتصام و
وقالوا ناوي الى جبل يعصمنا من الموت
واتبعوا اراء الشيطان ونسوا لا عاصم
اليوم من امر الله راموا النجاة وكيف
تنجو اعصبة مطلوبة بالله والسلطان
ابن عثمان فتشتتوا في البلاد وتفرقوا
في المهامه والاطواد وقد عضت عليهم
الحروب العضوض وطرحتهم ما بين
مهشوم وموقوذ ومرضوض فقتل
حقيرهم وجليلهم ووقع في نار كيدهم

عزيزهم

84

عزيزهم وذليلهم وقد امتلات من
قتلاهم القفار وامسوا حديثا في الامصار
ولا سعدت جيفهم الى حفير عميق وجدير
بالاهانة على من حاد عن الطريق فصارت
احشا الوحوش قبورهم واكباد النسور
لحودهم والحمايم تردد ماهم ونحوش اشلاهم
واكلت اجسادهم الذباب العاوية والوحوش
الضارية صاروا رمما عظاما بعد ان كانوا
امما عظاما وعجلت لهم جهنم قبل اليوم
الذى تقول فيه هل من مزيد وناداهم
منادى التهديد ان بطش ربك لشديد

وماهى من البدع ببعيد ثم لما وضعت
الحرب اوزارها ونزعت السلاح والاتها
وانتهج الخنكار وتنزه في رياض سلطانه
واجتنى في جنان النصر وجوه حوره وولدانه
خضعت له الوزرا والاماثل وعظما
الامرا له والافاضل دون سريره كخضوع
وجه الارض دون سمايه وهل قوم المرء في
الحرب الا اسنة طعانه ونصال رمايه
فقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن
ان ربنا الغفور شكور وذلك بجميل نية
الخنكار التى هى للعساكر حرز واق وكنز باق.

فنزهه

85

فعزمه يسهل عنهم كل صعب ويفرج عنهم
كل كرب فان النيات الصادقة توثر في كل
حين وتجرى مجرى الكرامات على ايدى
الصالحين ذكر دخوله
تحت العجم دخول الاسد في الاجم
فلما ظفر الله الملك المظفر على العدو والذى
اطاع شيطانه وقيد في مضمار البغي
عنانه واتبع ما اسخط الله تعالى وكره
رضوانه فقصد المظفر ليعود فيه السيوف
امثل وقايعه كما عود العفاة امثل صنايعه
فشمر عن الذيل على عقبه وانشب مخاليب

المتابعة بذنبه وامرها بالرحيل وتقويض
خيام الاسل بنجاد الطويل الى تخت العجم
مدينة تبريز بغزوها هي من الذهب الابريز
وقد قيل انها نحو ثلاثة ايام من محل التوقيف
وقد كان اللئيم اوى اليها للتحريز ثم
رحل من مكان النصر وبقاعه تثني على
معاليه وتشهد بمضا قواضبه ونفوذ
عواليه وهو يتفيا في ظلال نصره و
والكائنات تعجب من جلده وصبره وسرى
وهو يقطع المنازل والبريد ويقرب
له عزمه السعيد مرامي البعيد ويسهل

له

86

له صعاب الصعيد ثم لما مر ركاب الشريف
على خوى واشرف بغمام الاسود على المدينة
وتصبت الى صوبها الطلايع بعزايمها
المتينة علم اللييم انه قد ابلى بخصم لا يزدهي
بخديعة ولا يرضى فيما يطلبه بقطيعة
وانه لا يستطيع ان يمشي معه ذلك الممشى
وله العذر في ان لا يملك مقابلة عين
الشمس بنظره الاعشى وليس في طبع البغا
شهامة الصقور ولا في قدرة الاوشال
مزاحمة البحور وفي المثل السائر اذا جا
نهر الله بطل نهر عيسى ولا مقابلة

لسحرة فرعون مع عصى موسى واستفز
الفزع وتزحزح عن سريره وتهيا
لسيره فذهب عن اوطانه مستقلة
وقال ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة فلم يوجد له
اثر ولا وقعوا له على خبر فليهنه ان سلم
من باس عزايمه وفاز بسلمه الذى هو
انفس ذخايره فهى له ردوع مانعة
وللتاج الخنكار اوصاف ثنا شايعة
ولين اعتصم من هول حرونه مما اعتصم
من ذل روع رعوبه والذى تسربله

من

87

من لباس الهرب اعظم مما خافه من نيل
السلب وان لم تكن رويت السيوف منه
ايضا فقد رويت من جنده وان نجا منها
في ثوبه فقد ادركه عزم الخنكار من بعد
وان لم يقتله بنصاله فقد قتله باذلاله
والذل احد الحمامين ومقامه شر
المقامين وهو قتل للنفوس وان كانت
الاجساد سليمة ولا خير في تنفيس البقا
اذا كانت الحيوة ذميمة الا اذا كانت بيد
الكريم السليمي او الملك السليماني فانه
عز لمن تقتله وشرف لمن تسربله وكلا

هذين الامرين وان كان عند الملوك
محبوبا ولديهم مطلوبا فما كل من شاء
منهم بلغه مداه ولا استمرت به يداه
الا نخبة ال عثمان الذى هو من طرفة
الايام وتحفة الشهور والاعوام ثم
لما دخلها في موكب كانه نظام الدرر
او روضة كلها ازهر بل هو حقا هالة
القمر مجريا ذلك الاسود من عساكره
والجنود وقد اخرج عزمه العدو
عن القصور وجنة ومقام كريم فلما
شاهدته عيون اهلها اكبرنه وقلن

حاش

88

حاش لله ما هذا بشراً ان هذا الا
ملك كريم ويتعجبون من نضارة ملكه
الذى ستر النواظر ويرون ان اولياه
في حلل انعامه ويقولون ابدلت
الارض غير الارض وصارت سماء الافما

هذا القمر الذي حوله النجم الزاهر

وقد اخذ من فيها من الانسة حظه من
المسار وقسطه من الاستبشار الى ان
حل ركابه المنصور في تخت تبريز وقد
جني عزمه القاهر ثمرات الارب على اقصى
اغصان مفاهيم الوجيز وقعد فيها عدة

ايام وجلى فيها الدين من اقامة الجمعة
والجماعة ما عطله القوم اللئام وشمل
انعامه الايام بالصدقات المتوفرة
وسمح لاهلها من الذهب والفضة
بالقناطير المقنطرة وازدحمت الامانى
على سيبه كما ازدحمت الاعادى على سيفه
والرعايا تقول هذا الملك الذى يحمى
بعزايمه الذمار وادار العدى البدعية
الى دار البوار وهم يدعون بدوام دولته
التى اضحت قواعد الدين بها متينة
ويرتعون في لهو ولعب وزينة والله تعالى

لدعايهم

89

لدعائهم سامع ومجيب ومكافيه بكل فتح
مبين ونصر قريب ذكر غنائه ثانيا من
تحت العجم بعد ان قصر سورة العجم
واوجم فلما من الله تعالى له من النصر
الذى ما لم يبلغه من ملوك الزمن احد
فاورثه به ظفرا مخلدا لا يفنى وان طال
المدى والامد وقد فعل الذل بالعدو
وما كان السيف فاعلا واحتمله على جياد
الهرب عاجلا كان قصده ان يسير خلفه
الى ساروان يمر فيها امل القاانى مارد
ليتبدل بذلك الامن بعد الفرق وتستقر

الشريعة المطهرة في مهاد السكون
بعد الفرق لكن كان الكمن على دولات
مناصرة الصوفي وابان حال توجه
الخنكار في هذا الشان وذالك انه
اعترض على طايفة من جماعة الخنكار
واغار على النزول فاظهر بذلك عونا
للعدو والمخذول الذي نزع يده بعد
قتل ولديه عن ديار كم وهذه الحكاية
هي الموعودة بالذكر فانظر ما بدى
من ذي الغادرية من الغدر فلم يبق
عند ذلك لخادم السنة جناح وبلاغ

بطير

يطيره به الى ذوى الجناح كما لا يخفى ان
الحنكا واذا تحرك لا تحمل الارض ثقل
وطاة ثقله ولا تتسع الوجود جمعه الذى
لم تكن الارض تحمله وهذا الجمع معاشه
على النزول وهو عبارة عن طايفة يسيرون
في اخريات العسكر فعندهم جميع احتياج
الجيش محمول كانهم تجار العسكر فيتوصل
كل احد اربه منهم بالشرا في المعسكر
فثنى عند ذلك عنان عزمه ودخله
فاثر على من اعتدى على النزول وللعدو
المخذول استنصر وقد حصن قلاعها

التي انتزعها منه والحصون ونيب فيها
كل بطل محرب وعضده بجند لا هوادة لها امون
ثم انتقل عزمه الحسن من تخت المجم
بالامن والوسن وسار على اسم الله تعالى
بالجاريات الجياد التي تعدوا في سبيل
الله البحار وتعلو الهضاب وسرى
يقطع المنازل ويطوي المراحل طي
السجل الكتاب وهو يسير سير الانهار
الى المنازل ويصل اليه من التقادم
والميرة المتوفرة في المراحل الى ان علا
تخت استنبول مع بلوغ الارب من العدو

المخذول

91

المخذول نرجع بحمد الله تعالى هو وعساكره
المنصورة سالمين غانمين وابو الفتح فايزين
وفي بحر النصر غانمين ذكر صيت خيره
بالانتصار والى الاقطار سار وطار
ولما سرى الايام ماثر الدر الدرر الحنكا
في الآفاق ووقع منشوره باقلام الاسل
وخيول العتاق واستقرت الخواطر
وتارجت الارجا بنسمات هذا الخبر
العاطر علم اوليا الدين ان لله وليا
يجاهد فيه بالسنان الطوار وبالسمر
القصار وملكا ما اعس سيفه في

جفنه الا بعد اخذ الثار ممن ثار وغردت
حمايم البشاير في الاقطار وتناقلته
الركبان واستعذبته افواه السمار و
وابتهلت بالمحامد السن الامة كيف
لا وقد طلع صبح النصر فجلى ليلة تلك
الغمة ولهجت السنة الخلايق له بالادعية
الصالحة وغدت القلوب فوق ما كانت
عليه في ضميرها من حبه بانجحه حتى
سكنت قلوب كانت حايرة ورقدت
عيون كانت ساهرة وعدت مسرات
كانت عازبة وندور لم تزل في معاش

اوليا

92

اوليا الدين واجبة وشكروا الله على
ما اولى الحنكار بهذا النصر العظيم سرا
وجهرا وتلوا فان مع العسر يسرا ان
مع العسر يسرا واجتمع له بهذا بين المجد
المقيم والذكر السائر واحل وده من كل
قلب محل الضمير ومن كل عين محل
الناظر كيف لا وقد اراح ساير ملوك
الاسلام من ثقل حمل هذه المشقة
وقصرت عنه مسافة هذا القصد
الذى كم طالت عند غيره في معاناتها
الشقة واقام به ناموس بيته الكريم

العثماني فانه امام هذه الفضيلة وهم
المأموم وما منهم الا له مقام معلوم
وهذا المقام اشرف من ان يتنافس
المتنافسون وفي وصف منافبه
فليتدارس المتدارسون ذكر
اعلام ما ايقظه على دولاف من سُتم
الافاعي ورد الملك الاشرف العوني
له جوابا كانه افاعي وكان ذلك
قرحة زند يتلوها منه ضرام وقد
ولمحة برق يتبعها منها صلصلة رعد
ولما اطمانت البلاد بانتصار وما

ذالت

زالت مطمئنة وامنت العباد بمعجز
برهانه وما زالت مومنه مومنة وانكسرت
صولة شياه العجما وزالت بعزم الدر
الدر التاج الجوهر العثماني الغما وتمت
النعما برزت اوامره الشريفة الى ديوان
الانشا ان يكتب موسوما الصاحب
مصر باعلام ما صدر من نايبه من
الفحشا فسطر المرسوم ورقم وبجل
فيه الشان وفخم ولوح جرم النايب
مع المقت الشديد فيه ثم ختم وسير
مع الاول ممن له ملاز لاحوال الملوك

وَاستقر بعهد وثيق ان لا يلبث غير
مسافة الطريق ولطال ما ازال هذا
النايب قديما وحديثا بالفتن والمصايب
خلع المودة التي كانت بين المملكتين
تنتسج ووجوه المكارمة والمحاشمة
يوما فيوما تنبتهج ورياض المحبة الزاهرة
وارياض المودة العامرة وقفول المراسلة
والمصادقة بين الطرفين سايرة حتى
عرى له ما عرى وكان اذ ذاك ملك
الاشرف العمري هو صاحب مصر وجرى
عليه بواسطته من بحر القضا والقدر

ماجرى

94

ما جرى ثم لما مثل المرسوم بين يديه
قال ما لى على دولات من النيابة الا
اسمها ورسمها الذى يحمل الى الخزانة
الشريفة لديه وقد عدّ النيابة سلطنة
وكشف ستر شرّ السلطنة واعلن
قدونك واياه وقد طال ما شق بسيف
جهله العصا وخرج عن الطاعة وعصا
ظانا منه انه لا يقدر عليه لكون قلعته
حصينة ولو انفق الطالب عليها ثمينة
وهى منيعة شامخة القلال واسوارها
الجبال ولا يصل اليها طائش السهم

ولا يحوم عليها طاير الوهم لكن ما دري
ان سعد الخنكار الذي هو في كل حين
في ازدياد وله عزم يقضي به بالجمع
بين الاضداد فلما وصل الجواب
الى الخنكار الذي لا يستنجد في
حومة الجدال الا بمدد قريحته ولا
يستعصم الا بقايم لسانه الذي
النصر مكتوب على صفيحته احذ في
خاطره حيث لم يعنف نائبيه واقره
عليه ولم يتتبع معائبه التي ما زال
يبديها على اشرف الملوك ويسلك

معهم

95

مَعَهُم مَا لا يليق به من السّلوك فاعمل
عند ذلك عزمه الصّايب وقدح فكره
الذى لا زال مذخورًا للمصايب فاضا
له الافكار ولاحت له الانوار باستيلا
على الممالك المصرية والاستقلا على
كرسيها اليوسفية واجرى عزمه الى
ذلك في الاحتياط والقاعدة التي ما زال
عليها اولوا الراى من اولى الحل والعقد
يمشون منها على اقوم صراط واحد
بالتدريج فقرش لعلى دولات عزمه
الاريج بمكان يصل اليه طمعه لكيده

فوشع في المكان بعساكر وجعلهم حبالا
لشبكة صيده وقد اذكى العين عليه من
المربع والمرتع والمكمن والمسكن فلما راى
على دولات في المطمع فرصة للاصطياد
فظن ان الغاب لعادته خلى عن الاساد
ركب في الوقت بالة الحرب ولبس وابلس
ولا ينكره لابليس اذا ابلس ثم نزل على
قلعته المنيعة لادوار وحه المربعة
فرماه الخنكار من جميع الجوانب باسود
اعتقلت الصوارم والقواضب فصار
محصورا في هيبة حاصر مقهورا في

هيبة

96

هيبة قاهر ولما لم يجد للعود طريقا
ولا راى الا الاستسلام رفيقا وعلم
انه لم يتم ما دبره بجهله وان كيده ما حاق
في غيره ولا يحيق المكر السيء الا باهله
سال الامان لذنبه واستقال ولكن
في وقت لا يحسن ان يقال ومثل به
بين يدي المقام الشريف وقد بذل
عزه ذلا وطوقوه غلا وبقلبه من الخوف
ما سلب عقله واسى دخله فضرب
بعد العتب الشديد بحسب الامر
الشريف ضربة على تاجه انزل السيف

الى اوداجه فوقع سريعا يج علقما وجيفا
ومنى اصحابه من سهام الاذى بالرشق
واستولى الخنكار القلعة وبردت
الفتنة التى كانت تصعق ثم
برز الامر الشريف بشفع من صاحب
مصر ان تكون نيابة القلعة المذكورة
لابن سوار وكانت القلعة قديما بطريق
النيابة لابيه سوار وقد كسر عسكر المصرى
مرارا ولاهم الادبار ثم لما افلسوا
من اسباب النصر عليه غروه بارسال
منديل الامان اليه فعند ذلك نزل

من

97

من القلعة المذكورة بالامان وما
امن واحد من مامنه بالامان ثم
في اماكن الاهانة وظن هذا ما وقع
من قديم الزمن واما ما وقع حين
اتصل بالملك الاشرف الغوري هذا
الخبر فانه عبس وبسر ونضجر وتغير
وجهه وتمعر فتحير في رد الجواب
اياما وبينا مل ما يتولد من اباية خلفا
واما ما فصار يقدم رجلا ويوخر اخرى
وبينتنهض جواد فكره كرا وفرا وما
امكنه الا الاجابة وتجاز الامر كيف لا

وقد استولى عليها الخنكار وهي عنده
من جملة الاسر ثم لما سار اليها ابن
سوار جعل الخطبة والسكة التي
كانت لصاحب مصر باسم الخنكار فصعب
على الملك الاشرف الغوري ذلك
وحصلت المراجعات بينهما والمكاتبات
في ذلك فقال الخنكار قد سقط ما
كان بيدك بعصيانه وانا استوليت
عليه وعلى ما هنالك فجعلا عند ذلك
حد الحسام حكما واقام كل منهما للشهاد
من السنان الحداد اماما فلما راى

الملك

الملك الاشرف ان شهد الخنكار منعا
ضده بعزايمها الاكيده فلما اعتضد
بنجده من شهد الشرق الشياه فقال
له الحكم هذه النجده غير رشيده وكان
ذلك سبب العداوة واحتبال الفتن
واشتبال المحن وجريان الحروب
واحن ذكر ثوران العداوة
بين الملك الاشرف وبين المالك
الملك المظفر الاظرف
فلما جرى ما جرى على دولات حين اجرى
جراه على اشرف الولان احدى العداوه

بين المملكتين بعد مماته كما ان عادته
ودابه كان كذلك في حيوته فاستعمل
الملك الاشرف عند ذلك فكره ولكن
اخطا مكره الحفرة فلم يجد لتبريد
الاكباد الا الاتحاد مع شاه العجم والا
ستنجاد وراسل اليه رسولا خفيا
فناداه الى الاتحاد والاعتضاد نداء
خفيا ثم تواعد الوقت معلوم وتواصيا
لاجل مختوم لان يتوجه كل منهما عليه
بامل فسيح ويقصداه بعساكره وخاطر
مستريح مع ان بينهما من المنافرة

ما يمنع

ما يمنع المكابرة وذلك ان المخذول اظهر
العناد فجعل يرسل اليه القصاد بعد
القصاد بموسوم بانواع التفخيم موسوم
وباصناف التهويل مرقوم فهو وان
كان قد انتقض جناح سطوته من
التتار فكان ريش شرره ناش الى جراكسة
الامصار ومن جملة تهديداته لهم
والتخويفات بعد النثر من النظم
المهيلات ما ارسله مع اخر قاصد
من قصاده بمرسوم اظهر فيه تفخيم
امره وعناده فقال ـــــــ

شربنا من دم اعدائنا وكاسنا جمجمة الراس
فطلب الملك الاشرف عند ذلك من
سما الافهام ما يغيثه من جواب يعلى به
شانه مع الافهام فامطرت عند ذلك
سما القريحة بغمام الانغام تعظيما
وتشييدا السنة سيد الانام فنذكر
نبذة مما قيل فيه فاجاب مولانا شيخ
الاسلام زكريا الانصارى الشافعي فيه
دع عنك ذكر السيف والخنجر واسمع مقالا بذكر الناس
نريح بالريحان من طاعنا ونقطع الراس من الاس
في لقية منا ملا ان العدا فكيف بالجمع من الناس

~~98~~ 100

قال ايضا ابن قاضي القضاة بن الشحنة عبد البر رحمه الله تعالى

سهامنا اولوح ريحاننا مع شدة القوة والباس

وضربنا بالسيف عاداتنا ونعلق الهامات والراس

شرابنا الذكر بكاس الرضى افعلى جمجمة الراس

غيره

خدمت بيت الله والمصطفى كلاهما نورهما آس

جل الذي بالفضل بين الورى شرفنا في الملك في الناس

نحن ملوك الارض اذ اخصنا آل لنا من آل عباس

فانتخب الملك الاشرف الغوري مما قيل

فيه ما راق نظمه وبعد عن ايثار الشرور

فهمه لانه كان سالك معه مسلك السداد
لا مسلك المعادى والعناد وارسله للمخذول
جوابا ولم يجد له عليه عتابا ثم لما اجرت
الاقدار المنافسة بينه وبين الخنكار فجدد
العهد معه والميثاق وانشا بنيان
الصداقة والرفاق ويكون له كاحد انه
ويصير له من انصاره واعوانه واظهر
له ان له بذلك ناصح ولا يسمع فيه
قول واش وكاشح ووازره براى غير
صالح وجعله لضباب صبره طامح ثم
انه بسط بساط التمويه ووسع الحيلة

فيه

فيه وفاهت فيه فآ التفوه به وذلك انه
اشاع انه سالك مسلك الصلح بين
شاه العجم والخنكار واظهر وسايط
التشفع من المصاحف والمشايخ والفقرا
واعلن في ذلك والله متولي الاضمار والحال
انه شخص شاب رومي الحسب زعم انه
ضرب مع آل عثمان بعرق من النسب
ان له منزلة اكرم الاوفاد وعامله بما
يليق به كبير بيته بين العباد واحسن
اليه واقبل بكرم انعامه عليه وانزله
في بيت كامل المرافق والفراش واعطاه

وَخوله من سرور وسرارى وبهجة من
القماش وجعل له خدما وحشما ومقاما
وجمع له عددا وعددا وبرقا وخياما
وربيبة عنم وطوالة خيل ومن منادم
له بالنهار ومسامر بالليل وقد تواعدا
هو وشاه العجم على ميعاد وان اغراض
الشباب التى هى مع الخنكار وتنجاز اليه
ويتقوى بهم وبالشاة على الخنكار
للعناد وظن ان كيده يزحزح الخنكار
من ملكه وينظم خليفة في عقد
سلكه وما درى ان هذا التدبير كان

سببا

سببا في هلكه الا ترى وقد طبخ قدرا
ولكن ما انضجها ويمم قضية ولكن
الله ما دوجها وسلك من الغدر طريقا
ولكن افسد الله في وجهته منهجها واوقد
نار الامل في صدور ولكن بالبلوغ ما
اثلجها واراد امرا ولكن الله ما اراده
وقصد قصدا لم يلج عليه شي من امائر
السعادة فانفق على ذلك فاكثر
وغرس ثمر المنى فما اثمر وقد حكم الله الا
يجعل للباغي نصرا وقال انا رب مكة
لا انمت لمقرر امرا ذكر خروج

الملك الاشرف عن مصر بمعظم جنوده
ساغة حلب لحصره فلما تدانى بدر عمر
ملك الجراكسة الافول وشمس حيوة ملكهم
الاشرف العودى ان نو ل صرف واعنان
المذهب الى ساحة حلب فاقام ابن اخيه
مقام نفسه في تدبير المملكة وجعل
كلمته منفردة اذ اكانت كلمة غيره مشتركة
ثم نزل من قلعة الجبل بعروشه
ولم ينل في ذلك نيل عزمه دلاروشه
بجيوش تهيل الخلق ويضيق عنهم
الطرق وفي الحقيقة انهم خرجوا

من

103

من باب السعادة وجرت بجذ لان ما ارادوه
من الله لا ارادة وطبخو اقدرا فانقلبت
عليهم وسنجوا كدود القز شبكة حتفهم
بيد يهم فخرجوا عن ديارهم بقلب
مطمين وخاطر عن حلول الحوادث
مستكن كيف لا وقد كان ظنهم واعتمادهم
ان المخذول قد طير اجنحة افراخ مراسيمه
الى سكان اقاليمه واستنهض كل خارجي
صحيح الود وسقيمه فلبوا دعوته بالاطاعة
واجابوا نداه بالسمع والطاعة فلما
اتصل ذلك بالمسامع الخنكارية اخذ

باستكشاف كنه امر حتى تحقق استنبصا
خبره وخبره وارد حمو ارده على الاسماع
وكان ان يصح حديثها باتفاق الاجماع
باعمال ركايب القصاد وتجهيز الجواسيس
بعد الجواسيس وقد كان له فيئة في
العسكرين ويتلون عليه ايات
الاخبار من الفيئتين ثم لما تحقق
الخنكار موالاته بهذا الملحد قام
لها وقعد وابرق سما غيظه وارعد
فتعصب عصبا اقشعرت منه الاجسام
وتلمظ غيظا الغيظه جد الحسام وقامت

يفي بتبليغ

في تبليغ اعتراضه على عاداتها في خدمتنا
الاتام واحذ الوزرا في رياضته وهو لا
يرتاض وهو نوا عليه الامر وهو لا يزداد
في القضية الاما تقتضيه الحمية العثمانيه
من الانقباض فمنها انتصبنا لفتنة
فجعل الشيطان عليها يحوم وبمواطنها
يقيم ولا يقوم فحام حولها وانما يحوم على
اثارها مواقع الشنان ولا يحمد من
اعمال بنيته شا الامارتل بين الاخوان
ثم شرع عند ذلك في التدبير فكان
من امره ما يذكر ان شا الله تعالى بالتشهير

ذكر عنان عزمه ثانيا الى شياه العجم ثانيا ثم لما مر وقاد ما انطوى

عليه الملك الاشرف مع شياه العجم وسائر
من المحاورة بعثه وسمينه وسياق
هجان الرای مع هجينه ولا خفى ذلك
عن الذان والاعيان وفاح دفره في
انف الزمان ولا شكر على ذلك احد
وكان ذلك مبلغ كيده ثم كد ونكد
وانكد التفت الى طالع رايه الذى لا يخطى
وناقد فكره الذى يوصل الى الارب
ولا يبطى حتى استنتج من اشكال

فكره

فكم الصايب ان يجهز شرذمة من عسكره
الذى لا زال مدخورا للمصايب لقتال
شياه العجم ثانيا ثم يلتفتا ايضا لمن
قصده ثانيا فبينا الملك الاشرف
تزحزح عن سريره وتهيا لمسيره جهز
جيشا كرارا بل بحرا زخارا من عساكره
الذين صار منازل منازلاتهم لابطال
الابطال مشهورة ورايات كسرهم
قرون الاقران على جبين الدهر منشورة
ورؤس مناطحاتهم نيران الوغى على قرون
الخوارج ابدا منصورة بامير يسوسهم

وضابط همامِ بصان تدبيره نفايسهم
ونفوسهم ممن هو بين عساكره مشهور
وكاثره على جبهة الانام مسطور وامرهم
ان يكونوا له تبعاً في الاقدام والاحجام
يردون موارد المنية معه ورود الماموم
مع الامام ثم ودعهم ودعا لهم ومناهم
وملا ايديهم من الذهب والفضة
واما لهم فتوجهوا مسرعين وساروا
الى شياه العجم مجدين وكلما نال السرى
منهم استروحوا الى ذكر الخنكار فانال
كلا لهم واذهب ملا لهم وقد قال

نشان

106

لسان حالهم معلنا لما رحلوا من
رحالهم بالشهامة وخافوا من هول
يوم القيمة جعلوا ارجل رجايهم في
ركاب آمالهم وساروا في موكب عزهم
وجلا لهم لما لاحت انوار اعمالهم واشرقت
شموس عزمهم من فلك استعجالهم
ابشروا فقد انتقدنا اسراركم
على محل الاعتقاد فوجدناها سالمة
من بهرج الفساد فاسمعناكم منادي
لطفنا يقول ان الله بصير بالعباد
فسيروا الى ميدان الطلب لعلكم

تحصلوا على المقصود والارب ففرحوا
بسماع ذلك الندا واختاروا ان يكونوا
شهدا فا بيضوا عند ذلك خواطرهم
وشمروا واسووا عدهم فشرعوا الاسنة
واطلقوا الاعنة وقال كل منهم ان
الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة فاسروا واعلى
المخذول على بعد المسرى واطلقوا
عليه وخيلهم حسرى مع ما بهم من
ادمان سهر باط كل جفن بحاجب وادمان
سير خاط كل طهر براكب بعزم ببسير

يبين

بين الجياد اسرع من الجياد ويصحب
الاغماد باقطع مما في الاغماد فاذا
هو كما تلملمت اموره وحامت حول قصوره
صقوره وتطايرت شراره وشروره
وقد انتقش وارتاش واكثر الحشود
واستجاش وجاوا اليه بغتة وابهتوه
بهتة ثم كروا عليه كالاسود كره وجددوا
الوقعة كما كانت اول مرة وجالت
ايدى الصفاح وطالت اعناق
الرماح وقامت الحرب على ساقها وطارت
الروس عن ارقابها وصارت السيوف

تلمع والروس تقطع وطار من السيوف
الشرار وقدحت حوافر الخيل النار
ولم تصبر عند ذلك عن الجولان فاطلق
كل واحد منهم لجواده العنان من
كل ضامر وحصان وحملوا على الخوارج
حملة واحدة وارتجت لها الارض
بعد ان كانت خامدة واتاهم الدمار
واضرمت عليهم من الحرب نار وعلا
الغبار واحتجبوا عن اعين النظار
واحتاج العينان الى ضو السراج و
وكثر العجاج ودام الهياج واشتدت

الرزيات

108

الرزيات وظهرت الامور الكامنات
وحام طير الحمام وخاض بحر الدما كل
خاض وعام وبرد الهول قد عاد لهم
حرا وكلامهم قد انتقل بعد السر
جهرا وما احد منهم الا وقد حدثته
نفسه باخطر الخواطر وجال في ميدان
الرعب للقلوب المزعج للخواطر فعند ذلك
خطر له الخنكار بقلبه وتمثل له عاتبا
فاستحيي من عتبه وثبت بمكانه نازعا
للذنبية لا بسا للمنية يرا الاقدام مادية
والقتل ماربه فايقظوا عند ذلك

الحزم واستقبلوا الاعدا بكل العزم
وتلى عليهم لسان الحال الشجاعة
صبر ساعة وطاعة المرء على الغيب
هو الطاعة وطوالع السعود بالاقبال
طالعة وشجر الامال بالتاييد يانعة
وهيبة الخنكار في دفع اذى العدا مانعه
هذا وقد هيئت المكاحل والكفيات
والمدافع واستعجلت الاجمال وغيرها
من الالة التي لها الدفع الاذى مدافع
ورعدت الرعود في غمام البارود وهملت
دموع الحوادج على الخدود وانتشر

ما انطوى

ما انطوى لهم من الصحايف وارعد
المدافع وروع قلوبهم بصوته الراجف
وعزم من دخانها منازل الابراج وسد
منهاج سرورهم والابتهاج بل ازعج
خاطرهم والمزاج فما زال النزال
قايم وطير الحمام على رؤسهم حايم
وهبت فيه للموت نسايم كانها السمايم
الى ان نادى لسان المامول خذول
الماخول المخذول ونصر حربا استنبول
فعندها ركن خوف الخوارج الى الفرار
وولى الادبار فقار المخذول بنفسه

ولم يظفر برمسه وخار على ما اعتاد ذلا
موبدا وخار المولى على ما اعتاد عز مؤبدا
وقال لسان الحال • • •
تعوّد ذا لامذ تعوّدت عزة •
لكل امرئ من دهره ما تعوّدا •
وتنالوا منه منالين وانتصروا في هذه
الغزوة عليه مرتين واطالوا شرر
الشرّ على فئة لا يرجون خيرا ولا ميرها
حتى صارت بلاده كالغادة التي لا تحتمي
على خالسها وكالبغي التي لا ترد يد لامسها
ثم لما تلألأ انوار النصر ولاح وانتشر

ارج

110

ارج الظفر في الآفاق وفاح وزالت
المشقة وذهب الضرر وايثار الظفر
لحرب الملك المظفر اخذت العساكر
المنصورة بالرحيل وقدا ولاهم الجميل
ببلوغ التاميل ثم لحدوا بالعجول
الرجوع الى استنبول فتنسا بقت البشا
وتسارت التسل بروز فوق حمايئم
التهانى وارتفعت اصوات المثالث
والمثانى وحمدت العاقبة وشكر المآل
ورجعت العساكر المنصورة قائلة
وكفى الله المومنين القتال اذا بالبشير

لدى الخنكار قد وردو نجم الاسرة
قدوقدوا خبر بان الملك الاشرف
انتقل من دهليز الملك وسرير ه وخو نق
العز وسديره بجنود لا يدركه الطرف
ولا يحصيه الوصف وكان ذلك مبدا
حموله الذى فتح الله للخنكار باب
الخلافة والهنا والبشارة وحرك
على نفسه اسود الغاب للاغارة وعزم
الامال وساقه الحتوف للاجال فبينا
هو وافا عزم وسمع ان الخنكار ازداد
بانتصار عسكره على المخذول ثانيا

تمع

111

قوة على ما كان معه وعزه حصل له من
ذلك قلق واي قلق ونعوذ منه بقل
اعوذ برب الفلق واعترضه نذب الذهاب
وحتى الاياب اذ لم تمكنه رتق ما فتقه ولا
رتق ما خرقه وقارنه الحزن بعد السرور
وقال له المتكلم عن الدهر ستجد لك
من بعد الامور امور كيف لا وقد جعل
هادم شاج الشريعة صاحبا ثم والاه
فذهب معه مغاضبا ثم انتقل من
غزة الى دمشق الشام وقعد فيها
اياما على افخر موكب ونظام ثم انجز

بجيشه العرمرم وَنيران نصُول سهامه
تنضرّم الى انْ حل ركابه الشريف بحلبْ
وَقد ولى عنوان مُلكه وَذهب وسلخه
الزمان عندما كان البسه من ثوب
عز وسَلب فاوشك امره ان ينادى
من بَطن القليب وَقد شابت دَولتهُ
وَالضعف مُقترن بالمشيب وَالحزم
يروى للخنكار انْ يحتفر ذلك القليب
بمناصلة لا بمعاوَلة وَان يخضبَ ذلك
الشيب خضابًا لا يبعُد على ناصله وصُار
مُعسكره في ساحة حلب كانهُ بنيانٌ

مرصُوص

مرصوص وبنا الكسر على مسامعهم
مقصوص الى ان جرى ما يذكر ان شا الله تعالى
غير منقوص ذكر انتقال ركابه
المهول من تخت استنبول لقصر سوره
الملك الاشرف الغوري الذي كاد
ان يصول ثم لما علا شان الخنكار
وامره ونخى باذلال المخذول مرة بعد
اخرى نذره وقد كان جواسيسه يتلون
عليه ايات الاخبار وينهون ما يعتمده
العدى عليه في تلك الاقطار وحين
اظل الملك الاشرف بغمام العساكر على

حلب بررن او امر نيران من اسيمه الى
جمع العساكر تتلهب ثم لما خفقت في
الافاق نار علمه واستجابت الدول لامر
سيفه وقلمه جاوا وفي ثوب طاعته
يرفلون وهم من كل حزب ينسلون
وما منهم الا وقد استعذب من المنية
والحتوف ويخوض في بحار امواجه بالسنان
والسيوف ويسيل ردا الصبر في منازل
النزال ويثبت عند اصطفاف الجحافل
والابطال ثم لما انتخب عزم الحنكار
الجياد وعرض الالات والاجناد

وسالت

113

وسالت الاودية والجبال بالخيل والرجال
استقل ركابه من دهليز تخت
استنبول بعزايم يطول وصفها
ويهول وفي ساعة عزم يفور ويحول
وقامت الايام كعادتها في الخدمة
في تبليغ امله المأخول وركب وقال
بسم الله مجراها ومرساها بعزم
يشير عقد اجتماع الغورى الذى
لم يبق اعقابها وسرى على اسم الله
تعالى بمحفل عظيم وجنود انتظمت
من اماثل الكماة كالعقد النظيم

بعزم مشدود المناطق وجيوش يرهب
الصامت والناطق وهو في غمام العساكر
كالنجم المنير وبدر سرور في افلاك
النصر بتيسير فجعل يجول في ساحة ملكه
لتوطيد البلاد وتسكينها وتوطين
العباد عن مفاجاة العدا وتامينها
متمايلا الى جهات الحلبية لتسكين
ما تحدثه من شرارات الغورية فبينما
هو قدمه في ساحة ملكه اطناب
فلكه اوسع للملك الاشرف الحيلة
في استمالته ووسع العطية في انالته

وامر

114

وامر له بتجهيز الهدايا من التحف الصامت
والناطق بما في زاوية خزانته من
الخبايا وعظم مقامه في المخاطبة ورتبته
في المكاتبة من نفايس التحايا فمن
معناه ونحوى ما عناه قال انت
السلطان الاعظم وخادم الحرمين
الشريفين وصاحب السيف والقلم
انت العضد والساعد والمرتجى الذى
اذا مضى الوالد فهو الوالد لكن ما علمنا
الامر الذى الجا ركابا الشريف ان
ينتقل من محله المنيف وان كان

السلطان اراد ان يساعدنا على العدو
المخذول فقد نادى عليه هيبتنا اولا
ان انى لوا اماكنكم وبلس عزمنا ثانيا
يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وان
اراد ان يدخل بيننا في الصلح فينبغى
ان ينزه السلطان نفسه ترفعا ان
لم ينزهها عنه تورعا فارسلها مع من
يشار اليه من اعظم اركان دولته بقوة
الحواس والبراعة والنجابة وسرعة
المراس وهو ابن زيرك الذى كان قاضى
العسكر وكان الملك الاشرف الغورى

اذ

115

اذ ذاك في ساحة حلب معسكر وقد
كان هو ايضا عند حلوله بحلب جهز
هدايا وابرز من التحف الغريبة في خبايا
وعظم في المخاطبة وفخم في المكاتبة
وطرز لمفوف الكلام سطور الطروس
ما دعف به سطور الاقلام مما نظمه
من الفاظ اللآلي والافتخار في سلك
مفاخر معالي الحنكار ولكنه اظهر القوة
والشهامة وابدى ظفر الاسد في
قادمة النعامة فابتكر في النفاخر
طريقا عوجا مما يسبق اليه احد من

الملوك ولم يحصل له منه مخرجا وذلك
انه على ما قيل ارسل الهدية مع اصحابه
ممن يتوسم فيهم النجابة فامرهم ان
يدخلوا عليه باللبس الكامل لين وه الشدة
والصلابة كانهم انموذج طبيعته ومرى
عين غلته ومقدمة كتيبته فالحال
انه قد اختلف قاصداهما في الطريق
وسرى كل منهما في طريق غير الذى
سرى عليه فهدية الخنكار كانت سابقة
على هدية الملك الاشرف فاستنسرتها
اى لاستنسار فاختص ببعضها وفرق

الباقى

116

الباقي على امرايه فنفرح وفرحوا وفي امال
الطمانينة ماجوا وصاحوا فادعوا افولان
وظهر فيه الخوف وبان وان الخلف بينهما
مدفوع وشرر الشر مرفوع وانشات
السرور دواوين الانشاء والممالك وارسلت
المكاتبات من حلب الى الديار المصرية
بذلك ثم وصلت هدية الملك الاشرف
ايضا الى ساحة الخنكار المربعة وحجابه
المنيعة وهو في دست نهيه وامره
معملا في صلاح البلاد والعباد جميل
فكره فارادوا ان يدخلوا عليه ويتمثلوا

باللبس الكامل بين يديه وكان ذلك
لفتح حجرات القتال انذارا وقيل لهم لقد
جيتم شيا نكرا فقالوا نحن مامورون
به فلا علينا اذا امتثلنا بما امرنا به فلما
استوذن لهم الخنكار بالدخول عليه
واتصل بما هم فيه من الاحوال اليه تعجب
من وقاحتهم وكلاحتهم وشدة
دعارتهم وقلة مبالاتهم حين لم يهذبهم
الادب من مناخهم ولا دخل عبية الخنكا
ر في صماخهم ثم لما اذن لهم بالدخول
عليه وتمثلوا باللبس بين يديه فقال

ما حملكم

١١٧

ما حملكم على التمثل بهذه الهيئة وترك
التجمل الم ترضكم فطرة سليمة ولا هذبتكم
عقول كريمة فقالوا نحن مامورون
ما لنا فيه قول ولا عمل ولا ناقة ولا جمل
فامر بهم في الوقت والساعة بالاعتقال
وان يبدل هيبتهم المعروفة بالانكار
والنكال فاغلوا في السلاسل وما
وقروا وفي مجالس الخزي والمحن
صدروا فعند ذلك اظهر الحقد
الذي كان سالفا وجدد لهم لهذه
الفعلة ذنبا انفا كيف لا وقد ايقظوا

شر اقد استدام منامه وكره ان يستعيذ
ايامه فركب وقال بسم الله مجراها
ومرساها بهيمة انارت الى الديار الحلبية
شررها وبوساها فاستقل ركابه
الشريف بعزم ساير وفلكه على قطب
العليا دائر وقائد اذ لك الخصم الهدار
والجيش الجرار والسيل السهسار والغمام
المدرار لان الحليم اذا خرج خرج عن
شيمه واستصيبت النار من ناضر
سلمه وقد طال ما يلي عزم آل عثمان
فوجد نفاذ اي في الاسداد طلاعا

للانجاد

118

للانجاد فما قدح الاسرج ولا كوى
الا انضج ولا جهز بعثا من بعوثه الا
غيبت اراء من جنود سهد وعصفت
د وسا من سيوف ركد وذلك العزم
الذى اشتهر من الملوك باق لم يبن
ولا يهن ومتى استطار شرره ملا
الاقطار وسبق الحذار وقلب القلوب
والابصار ولا زال ذلك البحر الجرار
والجيش الهدار مسرعين في ركابه منتشا نقين
وهرعوا الى الديار الحلبية مجدين
وبالنصر واثقين الى ان حل ركابه الشريف

في ضواحي عين باب وصيا صيها وقد
استولى على مال الملك الاشرف من
القلاع والحصون دانيها وقاصيها
فعند ذلك اناخ بها ركابه واراح
بها دوابه فاطلق قاصد الغوري
بها فاخرج ثم صوب الى جهة قومه قد
خرج لينذرهم مما اظلهم من الصواعق
لينتهبوا اما للفرار او للكر والفر
في مدرج دابق ولم يفق الملك الاشرف
من رقاده الا والتاج العثماني قد
استولى كثيرا من بلاده ولما تمثل القاصد

يدي

119

بين يديه وقد كرع من الاهوال شرابا
مؤلما وفي طراز شمايله بامايز الاهانة
معلما واخبر الفتن المظلة والهموم
المهيلة تنبه من رقدته وارعوى
من ليلته وقطع في عضده وعلم ان لا
بقا الامر الى عده وخالط ما صفا من
عيشة الملك وتنغص حتى ذهب عنه
ما حلى ومر وعلم كشف شمس ملكه من
قمره وما رحسته في خدس سحره و
وتحقق انه فارق ملكا عظيما وظلا
ظليلا وترك مستقرا ومقيلا فاصبح

كان لم يعرف العيش محضرا ولا راى
الدهر الا من ورا ورا فلم يذق برد الما
الا وجده حميما ولا صافح برد النسيم
الا وجده سموما ولا نظر ضوء النهار الا
راه ليلا مظلما ولا اوى الى وثير مضجعه
الا لقيه شوكا مولما ولا يلام محزون
فارق جنة وحريرا وترك نعيما وملكا
كبيرا ولم يزل هذا دابه الى ان ايس
الامال وقيل له ارحل فالعمر نون
وفا ودال ثم استعد للقايه واستسلم
لقدرة الله تعالى وقضايه وخرج

بعساكره

120

بعساكره من ساحة حلب وبقلبه من
نار الخوف ذات لهب وسار على وجهه للموت
علامات وقد انتشر بل انطوى له من
امور الكامنات ولم يزل سايرا بين نار
الخوف الموقدة التي تطلع على الافيدة
ونار الندم التي تتضرم وهجا وتوسع
الجلود تبديلا ونضجا واحتفل لمن
ورد معه من العساكر وصدر واجتهد
على دفع القضا والقدر فما قدر وسام
امرا قد انشطت عليه الاقدار في السوم
وقد كان حدث نفسه في المحال فلم

يلبث الا يوماً او بعض يوم وقد كان في
ربعان قوته فما شرق بعضده حتى لقيه
بالظلم وكان اسلم على ثمار النصر في وجهته
فحالت الانة بينه وبين ذلك السلم
ذكر مصافهما في مرج دابق
واصطدامهما بالصوادم الصواعق
ولما والتقى في اليوم المعلوم كل من الجيشين
المكان الموسوم تهيا كل من ليث الاطواد
للاصطدام واشتعلت في قلوب
تلك القبائل نار الحمية للاصطلا والا
صطدام وعبا كل عسكره ما بين ميمنة

وميسرة

121

وميسره ومقدمه وموخره وسق والقلب
والجناح وملاوا العضا والبطاح
وورد كل من الحزبين ورد السابق وامتدوا
بالطول والعرض في مرج دابق فاذا
عسكر الملك الاشرف ببروق الحديد
قد تزينت بهم الافق وتلالا انوار لمعان
الاسنة في الفيافي والطرق اذا انظر
الطرف اليها ياخذه الابتهار يكاد سنا
برقها يذهب بالابصار يخيل الناظر انه
البحر او سيل فاض على النهر فلا حرج
ان قيل كالجراد المنتشر او كالسيل المنهمر

واعتقلوا الذوابل النواهل وثبتوا حيث
نبتوا فكانهم خلقوا من كواهل الصواهل
فكان بدور تلك الجموع مع الرماح الملتهبة
الاسنة عروس تجلى تحت الشموس غيران
ارواحه اصبح في جسده وديعة واصبح
التاج الجوهر العثماني في قوة سعده المنيفة
وقد ملا عسكره عراض الارض في مرج
دابق بالطول والعرض وقد لبسوا اللامة
الشاملة واعتدوا بالعدد الكاملة من
الزرد النضيد والاعمدة الحديد والسيوف
البوارق والرماح الطوارق وتراهم

كالاسود

122

كالاسود وقد لحقتهم من الله العناية
والسعود وبسبغ سوابغهم بالنصر مرفل
وبالتمكين التام مذيل وجرد واسيوف
عزايمهم وانوار النصر تلمع من افواه مدا
فعهم ثم تدانوا وتكانوا وتراجزوا وتناجزوا
ونفذت المقادير وجرى عليهم القضا
والتقدير وارتجت الآفاق وتصاهلت
الخيول العتاق وقامت الحرب على ساق
وبرز الشجعان وتطاولت بيض السنان
وترقرقت السيوف واظهرت العجايب
والحتوف ودارت رحى الحرب الزبون

وشرب القوم كاس المنون وجا الاهوال
واشتغل الحال في المحال وحام حمام
الحمام وكمنت المنايا في روس الصوارم
والسهام واشتد الصجيج والزعاق
واشتبكت في الصدور بيض الرقاق
وعاد النهار شديد الاعتكار وغلبت
الانفس الحيرة والابتهار واشتدت
الامور وصارت طاحون الحرب تدور
وقد كان احتفل كل من الجيشين على
الانتصار بكل عزيمة واجتهد في ميدان
الطلب واحتفد وما اقتعد ومال

العسكر

128

العسكر المصري الى آلة السيوف والسنان
واطمانوا اليها وعولوا الامر عليها ومال
العسكر الرومي الى المدافع والبارود وقالوا
هذا يوم السعود فابدى لكم حجته السنا
وجعل الدخان طالع وانطرشت من
الزعقات المسامع وتدرع به الجو كالغمام
واسودت الافاق بعد ضيائها بالاظلام
وعاد النهار شديد الاعتكار من كثرة
القتام وحقت الحقايق وتطايرت
البنادق وابانت الكفيات الكفوف
واخترقت بشرو السبقيات الصفوف

طع

وتمايلت المكاحل وابدت الحال حايل
وتضاعفت فيهم الرعود وهي بلسان
حالها تهدد الملك الاشرف بما يفتت في
الكبود وتتوعده وعد من لا يخلف الوعود
وظهر ما استتر له من الصحايف وتضا
يحت المدافع واذهل قلبه بصوته الراجف
وقامت عليه القيامة وابدى لديها
حسرة وندامة حتى تخيلت ازلزلة
مادت بالدهماء ام كسف سقط من السما
فاستثبت جنده واوعدهم ومناهم
بجميع ما عنده ظنا منه ان ذلك يجمع

عليه

عليه قلوب طال ما نافرها ويجنب اليه
اعنة طال باسباب الجماح هاجرها فلم
يفتن احد بلمع سرابه ولا رضي احد
رشفا ما اباحه من ممنوع شرابه
فانعكس منه كل راى وفال وتغير عليه
كل امر وحال وذهب عنه منطلقا ما به
من ملك ومال وراى الظلمة من فلق
الصباح المنير وكل ذلك جلي واضح عند
فراسة الضمير واسودت الدنيا عليه
بل انقلب الكون والمكان لديه وجار
وحار ومال عن سرجه وخار هذا آخر

امرٍ ولا يعرف له ما وراء ذلك من خبرٍ
فان ذلك عبرة للمعتبر وذكرى للمذكر
ولعبت به ايدى العبر وقابلته الايام تارة
بالصفا وتارة بالكدر ثم لما علم عسكره
انه نزل به شخص الحمام وانجزته المنون
بيد الايام سكنت حركاتهم وفترت
عزماتهم وخمدت سوراتهم فراوا
جسمهم بلا روح ومشيرهم بلا نصوح
وجحفلهم بلا قايد وبنانهم بلا ساعد
فانهم استقبلوا جيشا واسعا واعترضوا
ملكا قاطعا ومحله من كل ساع بغية

ولى

والى كل باغ قريبًا خافوا من طايشات
الحمام فتركوا الخيام وما كان خولهم الله
تعالى من الانعام فركنوا الى الهرب ولم
يجمعوا روس خيلهم الا في ساحة حلب
هذا وسيدنا الكرار ركب على جواد
المضمر حسن المنظر جيد المخبر يسوى
عشر بدور وزحف الى مقاعد للقتال
يحرض بعزمه فحول الاقيال وقال لسارى
رياح النصر سرعة اجنبى ولخيل الله
المهياة يا خيل الله اركبى اذا باللعين
يزيد قد تمثل وهو سارق ل

يا مولانا ان العدى قد ركنوا الى الفرار
وولوا الادبار وبادروا القوم على اعقابهم فقد
سار فعند ذلك برز امر الشريف
بالامان على الفار ومن استسلم واستجار
متيمما خيمة الغوري وحل ركابه فيها
وخيم ورسم لامرايه على قدر من انبههم
ان ينزلوا على بقية الخيم ثم لما استقرت
الاحوال وتوطنت وخمدت حرارة
الحروب وسكنت ولم يعلم بحال الملك
الاشرف اهو في الاحيا فيخشى فكره
ام انتقل الى دار الاخرى فبو من مكره

دوز

برز امر الشريف الخنكاري بتفتيش
الجرحى والتنفس عنه بين القتلى والطرحى
فلم يوجد له اثر ولا وقعوا له على خبر هذا
ما انتهى اليه امره وتواتر به خبره فلو
عاينت ذهبه تذهب والفضة تنفض
حنقها وتهب لتحققت ان المصروع
الى مصرعه سائر وان على الباغي تدور
الدوائر هذا من عوائد صنع الله الجميل
انه يمهل ولا يهمل بل يحيط علمه بالقليل
والجليل وله في ديوان الظلمة نظرات
وسوف يعلمون يوم الميقات ولا بد ما يصح

الوالي عن ولاينه معز ولا بسيف
ظلمه مغنو لا ذكر ما جرى لعسكر
المصريين حين افل بدر عمر ملك ملكهم
الاشرف الغوري فلما حل على بدر عمر
الافول وشمس حيوته من لا محيد من الحلول
واعتمد عسكره الهرب ووصلوا الى ظاهر
حلب ظنوا ان البلاد ستنجم لهم اجمام
مورود الوارد ولم يتمكنوا ان يلبثوا فيها
ولو من يوم واحد حتى تنكرت عليهم
عهود الزمان ومودات الاخوان وقالوا
ليس لنا بها قوة الا حتى قصدوا مصرهم

كمن

127

كمن قال سآوي الى جبل يعصمني من الما
فوصل قولهم الى الشام في اشنع صورة
وذكروا في كيفية وصولهم اشنع سبين
ثم لما وصلوا الى تخت ملكهم مصر مع ما
بهم من ادمان السهر والاصر وقد
ذاب كل منهم وصبا وتلى لسان حالهم
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اطمانوا
على مسالمة الزمان واطراد سلطان
ابن عثمان سوى ملك الامرا خاير بك فانه
لما راى ان حزبه في شبابك الحنكار اشتبك
اجال فيهم قداح فكره وتدبر في ذلك

الحادثة وعاقبته امره فراى شمس كوكبهم
انكورت وكنس كواكبهم انتشرت ورحل
رحلهم رغاب املهم وانقلبت شعار
اشعارهم من الدايرة الموتلفة الى
الدايرة المختلفة وعلم ان بينهم موج المنا زعة
من كل مكان فلا يتقدم في السلطنة
الامن قدمه اهوان المنهان من الجلبان
فيكون الرفيع في خدمة الوضيع ومع
ذلك لا يصفولهم ورد الملك من
كرب ولا هوآء من تغير كيف لا وقد
بسط الخنكار امل ساعده عليه وسمر

ولم

128

ولم يكن معنا من شروط الامامة الا الشوكة
فان الهامن هو اولى منا بالمملكة والمعاركة
معه مهالكة وقد قال الله تعالى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وهى ايضا
لمن غلب لا وراثة اب واستحقها الحنكار
بالشرع وحرم الخروج عليه ووجبت
الانابة طوعا او كرها اليه ومن الذى
ينتصف من آل عثمان ومن كانت يده
كيد الخلافة فليس لاحد به يدان وليس
في لطم ذات سوار من عار ولا في ادمانات
الاسد من ثار فما كل شجرة تحلو لذايقها

ولا كل دار ترحب بطارقها فترك المساومة
وبادر عند ذلك الى المسالمة واحتمى بحمى
الخنكار من شرور اللهب فوجع اليه
من حمى الى حلب اذ ذاك هو بها كان
نائبا وابان بسياسته ما يذكر به حاضرا
كان او غائبا هذا راى متين كما ترى
وعقل رزين وفعل رصين والعاقل
من اعتبر بغيره وتامل عاقبة امره
فلما اخبروه بوفوده امر لاستقبال
اساورة جنوده فاستبشر بوروده
عليه بان المعالى لفت الاعنة طوعا

اليه

اليه فتلقاه ثم وطى له اكناف القبول
اجله واحله والبسه من حلل التعظيم
اشرف حله فنزله منزلة اعز الوزراء
فصار ينفرد برايه ويراجعه في امور
الديار المصرية دون الورى ومنحه
بكرايم الاكرام واتحفه بانواع من
الانعام واصناف من الانعام فجعل
بنجوم ارايه يقتدى افلاك ذاك
الديار وبروارايه يستضئ سما
تلك الاقطار فجعله قطب فلك هذه
الممالك ومركز دايرة هذه المسالك

هذا اما كان من تملك الامرا واما ما
كان من العسكر المصري فان خواص
الغوري ومنهم الامرا اتفقوا بتولية
طومان باي اذا كان شوقه اليها ملتهب
واعراضه كان اكثر وقد علمت ان
شانهم بها لمن غلب ووافق الباقون
في صورة الاختيار وهم في الباطن
في صورة الاخيار لكونه اصغر منهم
في السن والاعتبار ولما سطى الغوري
منهم على كل حام وصال ثم جار فتقدم
في السلطنة ومن سواه تاخر لكن

سعد

سَعد فلكه في العكس محر فقلدوه الملك
فلقب بالملك الاشرف لكن ما اعنوه عند
رعدات سيف الحرف واشرف ثم اجتهد
واجتهدوا مما يعلي شانه وشانهم و
ويروج امره وامرهم من تقويه الاجناد
واصلاح العدة وجمع الجياد وارتاشوا
وانتعشوا واحتشدوا وانتقشوا ا
وتلملمت امورهم وحامت حول قصورهم
صفورهم ودارت من سيارات
عسكر بدورهم وتسعرت شموسهم
وحرورهم وتطايرت شرار شرارهم

وشرورهم ويراجع وهلهم واستفقد
دماغهم عقلهم وحصل هذوهم ولم
يعبأوا اعدقهم وجمعوا عساكرهم
واستنجدوا قوتهم وناصرهم ونصبوا
اعلام الشرور بينهم وبين الخنكار
قايمة وعيون السكون بجفون الزمان
المعامي عن صلحهما نايمة الى ان
جرى ما جرى ونفذ ما قدر كما سيذكر
ان شا الله تعالى ومضى ذكر دخوله
مدينة حلب بعد بلوغ المنى
والارب ولما دخل الذر الدرر

الخاقاني

الخاقانی التاج الجوهر العزیز العثمانی
مدینة حلب ففرحت به اهلها وتباشرت
وتسابقت ببشائرها وتسایرت وانشرحت
صدورها وتساررت وقالت ادخلوها
بسلام وهذا الیوم الذی کنا نرتجیه
من بین الایام وابتهج بغرر محاسنها
ایاما وعزمه یوحی الیه الاستیلاء علی
ممالك الشامیة والمصریة یوما فیوما
وجعل یقدح فکره الشریفة فی ذلك
فیما یبیده ولدمس بابع ثم رجت لنه ما یحمد
به ورآه اماما ثم فوض نیابتها ونیابة

على القلاع التي آلت اليه لبعض مرآئيه
الذين هم اكفا لذلك مع الاحكام من
الآلة والجند بما لا مزيد عليه ثم قصد
الى دمشق الشام مجريا ذلك البحر الطام
مجرى السحاب الغمام وعزايمه في سماء
المعالي سراجا وهاجا والامم على اختلافها
داخلة في دين طاعته افواجا فهو ما مر
باشياخ قبيلة من العربان وارباب
الادراك من الائمة والاعيان الاكارم
ركبانا ورجالا واعطاهم من اذى
الدهر امانا وشملهم خلعة السابلة

وانعامه

وانعامه الشاملة واولاهم على طبقاتهم
المتفاوته وقضى من حقوقهم الفرايض
والقاينة وخضعت له رقاب الغرب
والشرق واظهر بجميل صنيعه ماييز
الملوك من الفرق ثم لما اشرف على
ملوك الشامية عظم نبا بشراه حتى
قيل هذا هو النبا العظيم وسرت
بشاشته في الناس حتى كان كلا منهم
هو الولي الحميم ذكر دخوله
مدينة دمشق الشام بالامن
والوسن والابتسام فلما حل ركابه

الشريف بدمشق الشام تلقوه من
السرور والاحترام وزادوا يومها في
عدة اعياد الاعوام وقابلوا قوله بالقبول
وشخصه بالاكرام وهي قد اخذت
زخرفها وازينت وتبرجت محاسنها
للنواظر وما بانت بل تبينت وابتهج
في منظرها البهيج واستنشق
نافح عرفها الارج مبتهجا برياض
ارضها الفسيحة متريحا بهبوب
سمائها الصحيحة وهو على هذه الحالة
وقد اقام فيها وماهو مضاف اليها من

اقاليمها

اقاليمها نائبا ممن يعتمد عليه حاضرا
كان او غائبا انهى اليه ان طومان باى
قعد على تخت اليوسفي وشد اطناب
العناد وانه فى جمع الجيوش والاجناد
واصلاح العدد والاسلحة وافتقاد
الالات والجياد واستمداد الميرة والزاد
من جميع البلاد وقد فتح معك باب
الحرب واعلنه وذيل على عزم العودى
فى العناد معك وقرنه **وقد قيل**
ان الخنكار كان اضمر ان طلب عسكر
المصرى الصلح ان يقرطومان باى

بنيابة السلطنة فلما ورد عليه هذا
الخبر تغير عليه وبرزت اوامره الشريفة
ان يكتب في الوقت والساعة مرسوما
اليه ليحل ما عقده من عرى الملك
وازراره فكتب اليه مرسوما اذهب
قراره وتنفر طاير نومه عن وكر اجفانه
واطاره ويفهم من فحواه بالاشارة
انه طالب دماره ونوعده وبكل مولمة
اوعده ومن جملة خطابه وفحواه
ومضمون ذلك وما حواه اما علمت
اذا تزعزع البنا فقد هوى واذا نقض

من

من طرف البساط فقد انطوى وما علمت
ان الامر آل الى مقامنا الشريف خلافه
وطال ما تأتى لمن كان قبلنا وكانت
سلطنة وملكا وقد دنت لدى
عزمنا اليها المسافة كيف تقعد على
كرسي ملكنا بغير امر منا لك ولا تشريف
ولا خطاب تودد وتأليف وما نعتبر
شانا تتابع غيرك وما نعتمد كيف كان
مصادمتنا مع عمك الذي جعلك عزيز
عصرك لكن بضغطة اقتدار آل عثمان
تمنع صاحبها عن امضا قدرته والحليم

لا نظهر فضيلة حلمه الا اذا اسرى
فيه الغضب وحمرته وغضب الكريم
وان استطارت شررته فانها لا تاخذ
المأثوم والمبرور ولا تحرق المصحف
والطنبور على ان غضبنا المثلك في
مثل هذا المقام تثقيف وفي مقام
رفعة وتشريف الله ان تخطو اخطوة
ندم عقباها عن ليث لا مقاومة لك
به وتقول يا ليتني تاملت اخراها
لكن الآن فنحن ندعوك الى امر هو
نقا المهجتك وعضد بل عصمة لحرمتك

وحسام

135

وَمجتلك ان نخصّرنحو اصلك الى مخيمنا
الكريم ولانواخذك بما جرى من ذلك
الحديث القديم وكن على ذلك منشرح
البال امنامن سطواتنا القاهرة
في الحال والمال وننحفك بكرايم
الكرامة البالغة ونمنحك بالموارد
العذبة والاشربة السايغة ونخا
طبك بلسان التودد والتاليف
ونفيض عليك وعلى من معك ما تقر
به اعينكم من التشريف ونمدكم بالوبل
والجاه لا بالطل والطش والرشاش

وننعم عليكم من الذهب والفضة
والقماش واجزل لك القرى واقطعك
جملة من القرى واردك الى مصرك
ردا جميلا واعدك سهمانا فذابل
حساما على الحقيقة صقيلا هذا
ان اعتمدت ذلك بقلب مطمئن وخاطر
عن صروف الوعد مستكن فان
اعترضك ريب في ذلك او ارتياب
فلا نكلفك الى الحضور ونقنع منك
بالجواب وانت من وراء الحجاب
والاعتاب ونبلغك المرام فوق ما تريد

وما

136

ومَا نريدُ الا ما يريدُ الله تعالى وَهوَ
فعّالٌ لما يريد وهي ان تكونَ السّكّة
وَالخطبة باسمنا الشريف ونحنُ نرجعُ
عَنكم من هنا وجاهنا العريض في كل
شئ ترومونه لكم رديف وعندَ ذلك
ننتسج بيننا وبينكم خلعُ المسَرّة
ووجوه المكارمة والمحاشمة والمبرّة
وَايّاكم ومخالفة امرنا فيحل عليكم دَآيرة
قهرنا فقد بلغكم قصّة مخالفينا
ومَا نزل بهم في منازل النزال من
ايدينا وقد تبين لكم كيف فعلنا بهم

ورددناهم على اعقابهم ووفرنا
لكل منهم حظه مكمله وقد علمتم ان
الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا امر
يخشى عواقبه في المآل ومن لم
يسمعه لين المقال اسمعته خشونة
النصال فكلومها ابلغ من كلام الانسان
وندأوها مسموع بالقلوب لا بالاذان
هذا وقد فرغت مادة الكلام والسلام
ثم ارسل الموسوم مع قصاد من جماعة
من الاروام ممن لهم في السياسة

الما

المامودرية في محاورة الكلام وعضدهم
بجماعة من عربان الشام واقام هو بها
متوقعا لما يتجدد من خبر يقتضي بحركته
بالعساكر اليهم ويقبل بوجه تجريد العزم
عليهم وكان لسان حاله يتمثل
يقول القايل

سالت سوارها المثرى فنادى ∗ فقير وشاحها الله يفتح
لها طرف يقول الحرب اولى ∗ ولي قلب يقول الصلح اصلح

والله هذا الراى ما كان امتنه وجه

هذا القصد ما كان احسنه لكن لله
تعالى نصر يغايي في عباده ولابد ان ينفذ
فيهم سهم مراده ولا مفر من القضا
ولا محيد عما قدر الله تعالى وقضى
ثم لما وصلت القصاد الى الديار المصرية
بعزم وثبات من غير استخواف وارتياب
واوقف طومان باى اكابر دولته
على الكتاب ومال الى هذا الصواب
وفهموا مضمونه وما انطوى عليه من
خبر الصلح ومكنونه تجاوزوا بما لا طايل
فيه سوى ما محه اذن مستمعيه لانهم

لم

لم يكونوا اكفوا الرجاله ولا كانت رماحهم
كرماحه ولا نصالهم كنصاله الا انه
اقوال معروفة والى السماع مالوفه
وذلك انهم قالوا فقد علمتم ان الحرب
سجال وان نال منا اليوم فقد نال
اولوه منا المنال فاجعلوا كيدكم في ردعه
واجمعوا العدد والالات في دفعه
فان صائب الافكار يفعل ما لا يفعله
صوارم البتار وما اعددنا العزايم
الا لهذا الموقف ولا حددنا السيوف
وخباناها الا لنبذلها في السفك

فنشرف ولا ننقوا نا وقطعن حما نا او نهلك
عن اخرنا وما كنا بالذى يطلب الحيوة
بعد ان يستولى الاعدا علينا ولا حاجة
لنا الى الدنيا فقط وعلى ذلك تواصينا
فطوى عند ذلك بساط تردده وتوجه
الى جهتهم بتنشيط مقصده فتلى
لسان حاله ان رايكم اعلى واتباع
مرسومكم اولى فالحال ان بعضهم
كانوا له غير ناصحين وبسلطنته
غير راضين فجروا على عادتهم فى اظهار
الحقود واقتداح زند احن نيرانها

ذات

ذات الوقود ولم يوافقوا وافق الكتاب
ولا تقيدوا بجواب عن خطاب بل
قطعوا اروس الروس من القصاد وارموا
الباقين في الاعتقال وابدوا ظفر
الاسد في مقاومة ما لا طاقة لهم
به وقت القتال باختلاف الاراء وتصا
الاهواء فصار كل منهم ذا كلمة نافذة
ويد معطية آخذة وفرقت اراهم
ايادي سبا ومال هوا كل منهم الى
دبور وشمال وصبا وكان كل منهم
سلطانا ولم يكن له عليهم ذمام

دم

ولا امانا ولو قبلوا منا اشار لهم بارتسام
الخطبة باسمه والسكة على طرز ذلك
ورسمه واستمالوا خاطره بشيء من
الهدايا والتقادم وابراز قضية الملك
الاشرف الغوري صورة المعتذر النادم
لامنهم من الباس وكان اوفى لهم
ذلك للراس لكن لم يفتحوا له مسمعا
ولا ابقوا للصلح موضعا بل اتفقوا
على هذا الراى المعكوس والامر المنكوس
في الطالع المنحوس حتى دارت بالبوس
افلاك هولاء الروس بتصريف الملك

القدوس

140

القدوس ذكر خروجه من
دمشق الشام وانصبابه الى الديار
المصرية كانصباب المطر بالغمام
ثم لما اتصل بالمسامع الخنكار قتل
القصاد غضب غضبا اقشعرت منه
الاجساد وابدى ما كان يضمره من
سالفة الاحقاد وقامت السعادة
في تبليغ اماله كعادتها على عدم الانقيا
واستنقل ركابه في الوقت والساعة
في الشتا الذي ضرب الدجن مضاربه
واسبل عليه وابيه وجعل كل ربوة

حفيرا وكل قرارة غديرا وخط بكل ارض
خطا وغادر كل جانب شطا كانه يبارى
يد الحنكار في شيمة كرمها وار كبار دمها
ولكن الاولى ترك هذا التمثيل العارى
عن فائدة التحصيل وفرق بين ما يملا
الوادى بمائه وما يملا النادى بنعمائه
وبين ما ينبت زهرا يذهبه المصيف
اوثمرا ياكله الخريف كالذى ينبت ثروة
تفوق الاعطاف وكاكل المرتبع والمصطاف
ورحل عن دمشق بين بحرين من ماجد يد
يتالق وفيض طين ماء يتدفق ومن

عبط

141

غيظ هوية يتحدر منه العرق هذا يلمع
بمجاجه وهذا يقذف بامواجه ويزلق
بفجاجه فنشرى بعزم يقول لاخذنهم اخذ
القرى وهي ظالمة ولا اترك لهم يدا في
الحرب مبسوطة ولا ارجلا في المواقف
قايمة فامتطا جناح الخيل وارتدى جناح
الليل وواصل السير بالسرى وابتدل
السهر بالكرى وسرى سير الكواكب
وطرح ما وقف وكل من بجانب الجنايب
كيف لا وهم سم الافاعي ايقظوا وعقارب
هجر غاب عنه حوانها انبهوا وسيعلمون

اى دين استسلفوه واى عزيم عمزوه وسيف
في يديهم استرهفوه ودين الحرب بكره
تقاصيها والسوث المانوة لا يطمع تعاطيها
وما غبن من ادرك ثاره وان تاخر في طلب
عن يمه والتاج الدرار الخنكارى يقفو
في مثل دينه هذا بتحليل حكم الربوا لا
بتحريمه الى ان وصل القدس الشريف
مصحوبا بالسلامة وتمتع بمشاهدة اماكنها
اللطيفة بما قصده من الزيارة والكرامة
واحسن الى اهلها وغمرهم من اياديه
بفايض نيلها ثم لما قضى وطره من

الزيارة

142

الزيادة ووصل اربه من رجح هذه التجارة
رحل الى ان حل ركابه الشريف في غزة وقد
ازداد بدفع طلايعه في نواحيها بعض
من اعترضهم من عسكر المصري قوة وعزة
وكان تجهز اليهم منهم طايفة مقدمهم
الغز الى نحو من اربعة الاف نفر مصا فقه
فلاقاهم الطلايع بالصفاح وكروا عليهم
بالرماح فبددوهم وطردوهم وكلبوهم
وشردوهم ورجع عسكر المصري مكسورا
ولم يبق معه الا القاهرة التي اضحى بها
مقهورا ثم لما تحققوا ان عزم

الحنكار لابد له من اقهار قاهرتهم واخذ
ثاره من ثاراتهم لان طالب الثار لا يغمض
عينه حتى يستوفي دينه ولا يستوطن
مهاده حتى يبلغ مراده اعتدوا واحتشدوا
واجتمعوا في الريدانية وهي ظاهر مصر
واقتعدوا واجتهدوا بالانفس والاموال
ونقلوا اليها الالات من القلعة من
المدافع والاعجال ومن طالع عكسهم بنوا
عليها واحكموا الخندق اليها واستعدوا
للمبارزة واستمدوا للمناجزة وهم
عديد متعددة وهمم متبددة وايد

متغايرة

متغايرة وآراء متنافرة فصاروا حيارى
بلا روح ومدبرهم بلا نصوح وكان كلّ
منهم آمرا وأميرا ولم يكن كما قيل شئ
منهم سوى الرأس صغيرا ونصبوا فيها
الخيم والسرير واتخذوها وطنا عن
آخرهم بحيث لم يبق منهم سلطان ولا
وزير وامتدّ فيها الوطاق وقامت بها
الأسواق إلى أن حال الحال بحلول ركائب
الخنكار ما لا يطاق ثم ارتحل ركاب
الخنكار من غزة في موكب فلك قطبه
منير وجوهر عقد النظير ليس له نظير

مجريًا ذلك الغمام المتراكم والسنور
القشاعم والاسود الضراغم الى ان حل
ركابه الشريف في بركة الحاج وامتد
مع عسكره بطول عرض الفلا والفجاج وقعد
فيها ثلاثة ايام ليرتاح ويستريح فجعل
يروى فنون اداب الحرب بسنده الصحيح
ولم يزل العسكران يتدانيان في هذه
الايام ورفع عزم الخنكارى من رايات
الخلافة ما تطاول المنسات في البحر
كالاعلام وكلما راها عسكر المصرى
يهتز بتحريك نسيم عزم المظفر السليمى

سكنوا

142

سكنوا خوف الحمام فحصل لهم منه قلق
واى قلق لكن في وقت لا ينفع القلق فجعل
كل من ذينك العسكرين قد ضم ذيله وكف
عن السد والتبدد سبيله وحفظ من
الاعيا رجله وخيله واحيى في معتكف
المراقبة الى الصباح ليله فباتوا يتحارسون
وفي فنون الحرب يتدارسون ذكر
احتفاله لمصادمة الزيدانية واستيلا
على ملوكها وعلى ساير الممالك المصرية
واقاليم الحجازية ولما كان الطالع
كما تقدم اومى للتاج الدرر الحتكارى

بالسعد والتمكين وحبالة الخلافة العظمى
بملك الديار المصرية من تقادم السنين
ابنا سنة وتسعماية باقواله افول دولة
الجراكسة بالبشر عنوانه وفاحت بطلوع
سنة وتسعماية طالع الخنكار بشذا
السرور اردانه فاصبح عن نصر اسفرت
به اسارير سطوره ودلت عليه ابنا سطوره
ما حصل من السرور بتوليته الخلافة
بملك مصر وخليفها مع تلبيد الخنكاري
وظريفها فلما التقى شخصاهما تبادلا
تحلة الصفا وقالت لهما السعادة بالبنين

والوفا

والرفا وهذا اعقد نكاح عقدناه له
فلا فسخه في حل وثاقه واجرينا مجرى
المذهب السرحي في عدم طلاقه فالقت
اليه الديار المصرية افلاذ كبدها واستجابت
له على لددها وتلقته مسرورة برمتها
وسلمت اليه مقاليد ازمتها ثم لما اتفق
الجيشان على الامر الذي قصدوه ولا
حلوا على العزم الذي ابرموه واعتمدوه
وقد تحايا عسكر المصري كما تقدم وارتاش
واحتشدوا واستجاش وانتعش ووجد
المعاش لكن لما آل الحال دلت انه استرخم

عقابه واستوشل عبابه وانقطعت
به اسبابه واظهروا امايز القتال وقد حوا
نار الحرب من زندها للنضال ولما
سل فجر الرابع حسامه وحسر النهار لثامه
ارتحل الخنكار من بركة الحاج مجريا ذلك
البحر المتلاطم بكماة الامواج من عساكره
والفجاج وقد ملوا الفضا واشرق
الكون بهم واضا ولم يعبا بعد يدهم
ولا بعددهم وتعديهم ولا اسرع في
مسيره اليهم بل سار رويدا وهو يكيد
كيدا ويكيدون له كيدا وقدر تبوا الميمنة

والميسرة

146

وَالميسرة وَعبوا المقدمة وَالموخرة وهن
عسكر المصري القنا وَالنصال مع ما اعتمدوا
الى المدافع وَالمكاحل وَالكفيات وَغيرها
وَالاعجال وَقالوا لن نغلب اليوم عن قلة
وَلا عن فقد الالات التي استعز بها العدا
ان شملهم بها مشتملة وقد استعددنا
بعدتين وَاستالمنا بلامتين وَبالاهبة
النابعة وَالعدة السابقة وَالخيول المسومة
وَالاعلام المعلمة مع ما بنا من فروسية
الخيل ولنا فيه جلد على المطاردة من
الليل الى الليل وَداخل عسكر الروم

عندَ ذلكَ الهلع وَالخوف وَالفزع لكن احتموا
برَاى الخنكار وَاستمدّوا في هَدى فضله
للانتصَار فاجرى لديها رَايه الصَّائب
فانهمَل فالهمَّة القدْرة موَاربة الات
القوم وَلاحد الى جانب الجبَل فاشار به
لاولَيَابيه احذ ايقول عمَر يا سَاريَة الجبَل
فامنوا مَنْ تمكنَ آلةُ القوم عليهم بل ومنَ
الوصُول اليهم فلما رَاوا القوم خانتهمُ
الظنُونُ وَعلموا انه حَلَ عَليهم ريبُ المنُون
وقصَدُوا ان يقلعُوا عنها البنا ليدفعُوا
بها العنا تدانى الجبَشان وَاصْطدَما

وَاصْطليا

147

واصطليا بنار الحرب واصطلما في اول
يوم في سنة وتسعمائة في يوم الخميس
في التاريخ المذكور التقى الخميس على الخميس
وظهرت الابطال واشتجرت الرماح الطوال
والتقت الصفوف وترقرقت السيوف وهاجت
نار الحرب الكرب وفاشت عيون الطعن
والضرب واصطدمت الروس وانزعجت
النفوس وتطايرت السهام وحامت
حمام الحمام وتهللت الصوارم وقطعت
الغلاصم واشتبكت الرماح في الصدور
واشتدت الاهوال وسدت ابواب السرور

والعقل حاير والراس طاير واصطلى الفريقان
نار الحرب ودارت قناة الطعن والعطب
وبلغت الارواح الى التراق وعظم الامر
وشاق وانزعج الجبان واسودت الارجا
بالدخان وعلى الغبار وقدحت الخيل
من حوافرها الشرار وحين استوسقت
الالات من البارود ومعيانه وطلع من
الكبريت لهابه وشراره وقد نشرت
النار حداد الظلام معصفرات عصايبها
وصعدت الى السما عذبات ذوايبها
كم رمز اضحت لتلك الدخان جاثية

وكم

148

وكم نفس كانت في النازعات وهي تتلو
هل اتاك حديث الغاشية فابرق نوؤه
وامطر ومحز بحر قتامة وزخر ونصا بحت
ارعدته فافرغت اوعيته وتطاير منها كنظام
النبل فكان عسكر المصري ملسوعين
بمزج دابق والملسوع كما قيل يخاف من الحبل
نفر منهم طايفة وتنادوا بلسان الحال
ازفة الازفة فانكسر ميسرة المصري
وكان مقدمها الغزالي فولوا مدبرين
وحالد الميمنة ومعها سلطانها وكان
من الصابرين الى ان لفظت الالات

ما فيها من علامات الحشر وهي ترمي
بشرر كالقصر وحين ما رأت الميمنة
ما انتشر لها من المخاوف وارعد المدافع
بصوته الراجف فكان الساعة اقتربت
او السما عليهم بالشهب انقلبت او الارض
بهم اهتزت وربت فعند ذلك خفق
فوادهم وارتعدت فرايصهم واكبادهم
فولوا مدبرين وظهر امر الله فكانوا من
الهاربين لا يدرون اين يتوجهون
والي ماذا يصيرون لو يجدون ملجا
او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم

يجمحون

149

يجمحون فلا يستطيعون توصية ولا الى
اهلهم يرجعون وتركوا مصرهم بما فيها
من حرم وحوارى وخدم وجوارى وسرر
وسرارى وحشم وحواشى ومن غلات
ومستغلات ونعم وخيرات واموال
واقمشة وذهب وفضة بل ونفائس
مدهشة كم تركوا من مراح وزروع
ومراع وضروع وجنات ونعيم وفاكهة
ومقام كريم وما ارتفعت شمس الضحى
الا وقد غطى اثارهم التاج الجوهر العثمانى
ومحى وحل ركابه الشريف فى الريدانية

في مخيمهم الوريف في حرم الافراح ثم
لما زالت الاتراح وظهر السرور والانشراح
نادى بالامان واخذ بقلوب الرعية
بيد الاحسان وقادهم الى محبته بزمام
الامتنان ثم برزت اوامره الشريفة
صبيحة ثانية بارتسام الخطبة والسكة
باسمه الشريف ويخاطب الرعية بلسان
التودد والتاليف واقام في مخيمهم
ثلثة ايام وهنوه بالسلامة وبلوغ
المرام ذكر انتقاله من الرندانية
الى الجزيرة الوسطانية ثم لما اطمانت

الناس

150

الناس وتخلقت الافاق بزعفران الابنار
انتقل ركابه الشريف من الويدانية الى
جزيرة الوسطانية في موكب استوسق
به الظفر واصبح حديثا للناس وبشرى
للبشر في نجوم من العساكر هو بدرها المنير
وعضدها النصير فدخل القاهرة من
باب نصرها وشاهد الناس من شعار
الهيبة عليه ومن وجهه الليل اذا
يغشى والنهار اذا تجلى ومن نور جبينه
الضحى والليل اذا سجى فبهر العيون
بما به تجلى والناس قد اصبحوا كما امسوا

بالدعا له مبتهلين ولسان الحال يتلو
عليه وعلى جنوده ادخلوا مصر ان شا الله
امنين ولما مر بسبلها حلى له ذلك المرور
ثم لما سلك بين قصريها علم الناس
ان ايامه زادت على ايام من قبله فانها
ان شات قصرين وهذه انشئ لها قصور
ما بها من قصور وقابل الناس عظمة
هذا الشعار بما يجب له من الخضوع
وتلوا قوله تعالى تؤتي الملك من تشا
وتنزع الملك ممن تشا وتعز من تشا
وتذل من تشا وتذل من تشا وفاضت

عند

عند ذلك الدموع وكادون يخرّون
للاذقان سجدا من الخشوع الى ان
وصل اليها فامتدت اطناب العسكر
عليها فحل ركابه الشريف بها بالسعد
والتمكين فنزل قايلا رب انزلني منزلا
مباركا وانت خير المنزلين ذكر
تزفرق سيف الهصر بهجم طومان
باى على اهل مصر ولما قامت الايام
كعادتها في خدمة الملك المظفر سليم
على عدم الانقياد واوفى الملوك القاهرة
ما وعدهم من انقهارهم على القاهرة

وطردهم عنها والابعاد والجاهم الى
التشتيت عنها والتطريد وحين وافاهم
كسر الريدانية توجهوا الى ناحية الصعيد
ثم لما تراجع وهلهم واستقر في دماغهم
عقلهم وقد افلسوا من اسباب النصرة
تجشجشوا ومن ضعف العزايم تنشنشوا
ثم لما تحاوروا وقالوا الراي اننا نراقبه
في الجوانب ونتسلط عليه من كل جانب
ونواظبه بالليل ونعدله من قوة
ومن رباط الخيل وكلما وجدنا منه
عزة كسرنا منه الفقار الغرة فنسلبه

الهجوم

الهجوع ويمنعه الرجوع وانهضوا على ذلك
وثابروا واصبروا وصابروا ووجد
المحال الراى لهذا المقال فعند ذلك
عزموا على الرجوع الى مصرهم لانتهاز
الفرصة وطاروا بجناح من السرور
بعد الريدانية بستة ايام ولكن
بظهور عزم الخنكار فصتة وذلك انه
اخذ منهم الحذر وقامت في العسكر
عساكره والذيل مشمر وننتظر فلتتهم
وتغتنم غرتهم واسنتهم مشرعة
الى نحورهم وسيوفهم مجردة لتغمد

في صدورهم ومدافعهم مهياة للتفرق
ومكاحلهم معايرة البارود لا يراد ما عنه
من التسلط والتسليق وعرباتهم معزبة
للاعجام وكفيانهم مكفه لكن لا كف
والابهام واعجالهم مستعجلة للتمزيق
وخيولهم مسرجة ينتظر اخبائها
من دمائهم عند كسرتهم التخليق
فلما فهمت ملوك مصر ذلك من
عزم الخنكار الذي حربوه اعرضوا
عن الوطاق وما تعمدوا وعمدوا الى
ما عقدوه من العزائم فحلوا عراه

ونقضوا

153

ونقضوا ثم لما ركبوا خيلهم ٥
واستعملوا في نيل مرادهم ليلهم ٥
فهجموا الى من كان من العساكر في الازقة
والمساكن والخانات والبيوت والاما كن
فامكنوا لهم وقتلوا واغتبطوا دماهم
حتى اصبحوا وناصرهم بعض خدمهم
من الغلمام والطغام ممن ليس لهم
الممارسة بعوايل الايام وصاروا لهم
ظهرا وعضدا وجناحا ويدا وكثروا
معهم السواد ولم يتاملوا ما يترتب
عليه من الفساد واما غيرهم ممن

ذوى الاخلاق الذين هم من ذوى
الرّاى على الاطلاق كاهل الزوايا
والصّنايع وارباب المتاجر والبضايع
لاسيّما الفقها الذين ايقظهم الله
تعالى من هذه السّنة وجعلهم من
عباده الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه لم يكد يخلو من
الفرح بالخنكار منها بيت ولا قال
احد لعموم نفع دولته متمنيا ليت
وما منهم الا من وسم من الفرح
نفسه بسمة الخصوص وهى سمة العموم

واشتركوا

فيه جميعا حتى لم يبق للولى منهم مكان
معلوم ولا عرضوا نفوسهم لهذه المهالك
ولا عجلوا بارواحهم بالقدوم على مالك
ولا لبوا ما هم له داعون ولا سعوا فيما
هم له ساعون ولا خرجوا من مكانهم
بل قال لسان حالهم انا هاهنا قاعدون
وكانت الخيرة معهم على التثبط في الحركة
والقعود عن النهضة فانها كانت نهضة
لم تكن لهم ولا لغيرهم بركة ثم لما اعتمدوا
مع الرعاع والغلمان ما اعتمدوا واشاعت
القضية في صبيحتها وقامت ساق

الحرب كما كانت اول مرة بل هي اقوى من
اختها فلم تزل نيران الهيجا تنتطح ونار
الحرب تورى اذ تنقدح وشرار السهام
تتطاير وثمار الرؤوس بمناجل السيوف
تقتطف فتتناثر هذا في ازقة الطرق
ومعاطفها التي هي خافية على الاروام
وكل من ظفروا به اذاقوه مرير الحمام
ولا زالت ايات القتال بينهم تتلى
حتى امتلات المدينة من القتلى واستمر
هذا الاصطلاء والاصطلام الى ثلثة
ايام حتى جاوا بالداهية العظما والمصيبة

التي

155

التي اصابت البرى والسقيم سهامها
فاصمّا وذلك لما اتصل بالخنكار امر
الطغام لم يأخذ ولا يقبول بل اعرض
ونأى وصرف عنه عنان قبوله وثنى
الى ان تواتر اليه وصح ذلك الاجمال بين
يديه فعند ذلك استفزه الغضب
والشرور وغنت سيوف القهر على المأثور
والمبرور واستطال لهيبه حتى احرق
المصحف والطنبور ونادى فيهم
الرعب الخنكارى ان انزلوا اماكنكم
وتلت الهيبة العثمانية يا ايها النمل

ادخلوا مساكنكم فلم يبق مواعند ذلك
من طومان باى ومناصريه رجلا بل اخوا
اخى فصاروا حيارى سكارى وما
هم بسكارى وولع السيف في دمايهم
وكرع وحز في رقابهم وقطع وفصل
من ابدانهم ما حاطته السهام واقعدوا
من الموت الغارب والسنام وطم
البلا وعم القضا كانه علامة من
علامات القيمة واستقرت تلك
الساعة عن اشراط الساعة وكم رجمت
رعود المدافع حتى علا البرى منهم

كانها

كانها نطلبهم بثار قتيل وما قتلوه
وتعقعقت عليهم هدير صوارمها حتى
تلوا الى امر الله فلا تستعجلوه وتفرق
طومان باى جمعه وبطل صنعه وخلى
من الانس ربعه وتفرقوا اشدر مدر
وتصرفت في يد شملهم يد القدر
واثبتوا في المدينة وضواحيها
مستخفين فاصبحوا على ما خالفوه
من مرسومه نادمين ولوانوا البيوت
من ابوابها وسمعوا لين المقال قبل
حشونها ولحظوا هذا الحال في مباديها

قبل ان يجيء في عقباها لم تيسر بلواليل
هم لا يجدون له صباحًا ولا اضطروا الى
موقف يتخذون الفرار فيه سلاحًا
ولذلك تفرق شمل اهل مصر بعد
ان كان مجتمعًا وانحط قدرهم عنده
بعد ان كان مرتفعًا ثم لما انضح للحكا
بتفصيل حال البرى من السقيم وظهر
له من الحقيقة هو العزيم كف عنهم
سيف الغضب وغدا في غمده واستغضب
وذهب المقت وصفى الوقت وكان
ذلك سبب بقايهم وموجب ارتقايهم

فان

157

فان ذلك وقع من الخنكار اجل موقع ٥
ووجد من خاطره الشريف موضعا
وای موقع ومن عليهم بالحيوة السنية
بالتطمين والتسكين وبسط لهم القول
الموجب للتامين وان لا يتعدى انسان
على انسان وان لا يكلم احد طعنوه
بشفة من فوه او لسان وسكنت
عند ذلك قلوب كانت واجفة وعيون
كانت بالدموع واكفة وسكن شاجهم
جاشهم وزال استيحاشهم وانشرحت
الصدور وظهر السرور واطمانت

النفوس وابتهلت الالسن بالشكر
للملك القدوس وامنت البلاد واطمان
في مسالكها كل رايح وغاد **ذكر
طلوعه الى قلعة الجبل بعد بلوغ
المنى والامل** ولما اصبح الدر
العزيز الخاقاني التاج الجوهر الدرر
الجنكاري بالامن وعليه بانتصاره
ابهى رونق وظهر نور بشاير الخلافة
عيون الامة لما اشرق وانجلى ليلة
تلك الغمة وانقشع اثر كدورة ذلك
الغمام وغمة وجد بن طومان باي

اعنة

اعنة السلامة فاختار الرحيل على
الاقامة وتمزقت عساكره ما بين مطروح
ومقتول ومجروح وما بين منبث في
نحو الطباق وجوال في الافاق وما
بين مظاهرة في الرفاق وفي الوطاق
ركب الخنكار من جزيرة الوسطانية وقد
اطمانت له الارجا بالامن والامانية
فقدا القلعة بنية الوفا والصفا وطلعها
محسبلا بتكبير قوله حسبنا الله وكفى
في موكب قد احدق به وزرا الحل والعقد
واهل الراي والمشهورة من الامرا وجهابذ

النقد الى منبر الملك وسريره وخورنق
العز وسريره وطلعها في ابين طالع
لا يحتاج معه الى اختيار ولا رصد
وحلت شمس ملكه في برجها وهو
برج الاسد وحل في القطر الابلق واستظم
به الملك فاستوسق وقد طلع شمسا
في سما الملك انار بها افق الافاق
واشرق فجلس على تخته وامتطاه
فاهتز طربا من تحته ورقي اسرته وملك
ازمته وتسلم وديعته ثم لما انعكس
شمل الجراكسة من راى وقال

ودهبوا

وذهب عنهم على حين غفلة ما كان
بيدهم من ملك ومال ولم يبق لهم مكان
ولا امكان ولا سكن ولا اسكان ولا
زمان ولا اخوان ولا رجال ولا اجال
ولا امال ولا امال ولا ياسوا من صروف
الزمن انواعا من غربة وفقر ومحن
وقد كان انبثوا في النجوم كما تقدم وراوا
الاهانة من حشم وخدم من صغير وكبير
وغني وفقير فتنكرت الايام عليهم ومودات
الاقوام طلبا الامان من كان اختفى
منهم والاطمينان فامنوهم فاخرجت

سرية بعد سرية من الامرا المقدمى
الالوف والاربعينيا والعشروات و
والخاصكية وغير ذلك من المماليك
السلطانية والجمدارية فجاؤا اولا فاولا
فانزلوهم في قلعة الجبال ومنوهم السلامة
وغاية الامل معولا سوى جان بردى الغزالى
فانه كما تقدم كان في مسيرة الريدانية
فلما جات الكسرة عليه قصد الى الشرقية
ثم لما حصل الامان تعلق باذيال
خيربك ملك الامرا فاعتنى به بين يدى
الخنكار دون الورى فعفى عنه وصفح واكرمه

بالمنن

160

بالمنن ومنح واحسن برد الروح اليه
وافاض خلع العفو عليه واما باقي المؤمنين
ولم يهمل الخنكار في جانب الحزم في امرهم
ولا اقعدهم ما هم عليه من الوبال عن
التحفظ برسل مكرهم قبل ثم لما ظهر منهم
ذلك تغيرت عليهم الخواطر الشريفة
هنالك وبواسطة هذه الاسباب
آل عامر عمرهم الى الخلا والخراب والتفرق
واليباب والانتقالات والانقلاب كما
ياتي ذكره مع ما ترتب على ذلك ما اقتضى
امره ذكر ما ادى طومان باي

كن وفرة ومال اليه اخوته وامن ولما
اختار طومان باى الرحيل كما تقدم على
الاقامة لحق بالصعيد فاواه وناصره
بعض من كان له عليه الايادى واقامه
احتشد جموعا من العربان طفاشة
نفاشة لاكتساب الحرام عطشان
فصار دواد وواعد عظيم فاوهموه انهم
له ولحميم وانهم ينزلونه في منزل
الملك وسريره ويزحزحون له الخنكار
بمعظم جنوده الصغير منهم وكبيرهم
وانهضهم على ذلك وما انهضه الا

حلاوة

161

حلاوة الروح وتحرك ولكن حركته حركة
مذبوح وكان استامن فامن ولم يستامن
ووطئ له الخنكار اكناف الامان ليطمين
ولم يطمين بارسال قضاة القضا الاربعة
ودوادار الخليفة وجماعة من عسكره
معه ليسلكه في خدمته اشرف السلوك
والانضوا الى ظل اكبر الملوك ثم لما ساروا
القضا اليه بالعجل وهم امنون من
غير ريب ولا وجل وكان الظن به ومن
معه ان كلا منهم قد استبان عواقب
الندم واسترجع زلة الراى التى تنسى

زلة القدم كلا بل امتدت ايديهم التي
كانت مغلولة وغدت سيوف فسادهم
المعمورة مسلولة وذلك انه لما وصلوا
بالقرب الى وطاقه صال عليهم بعض
اجناده فضرب جماعة الخنكار والجميع
من عناقهم وكذلك قاضي القضاة ابن
شحنه واخاه معه ورجع من بقي من
قضاة الثلاثة مبهدلين وكان امعه
ولم يحصل الغرض معه فمضى بما هو
فيه من جمع الجنود والتهيؤ للصدر
والورود ثم زحف بمن معه الى ان وصل

بتجبره ومد فيه الوطاق فاوسعه وهو
يظهر قوة من ضعف ولا يجد بدا من
اللقا ولو انه في مائة وعدوه في الف
وتاهب للعناد بمن ورد معه وصدر
لكن شاهد منها سوء المنقلب وكآبة
السفر لانها كانت كره من الوقعات
الحاطمة الغرة فعند ذلك قالوا ظهرت
المراسلة بينه وبين المومنين ومواصله
ولا خفي على الخنكار كما تقدم بل يطالع
بما يعتمدونه من كيد ويعرف بما يسترهم
اليه من عمرو وزيد فاصبحوا بذلك

وقد غرسوا اغصان الخلاف في دوح
العصيان والاعتساف فاثمر لهم ذلك
الحور بعد الكور وبان لهم البوار فاصبحوا
بورا كما ياتي ذكره بهذا البوار

ذكر نزوله عن قلعة الجبل مستغنيا
بلطف الله عن الحيل والحيل ثم لما مد

طومان باي معسكره في برجيه واوعد
ومنى قومه وصبيعه وعزيزه فخرج له
الخنكار خروج موسى صلوات الله
عليه من المدينة ولم ينقله ذلك
الانزعاج عن خلق السكينة وحل

ركابه

163

ركابه في بركة الحبشة في جانب وكان
كحاجب على عين فصار كعين في حاجب
ثم اقتضى الحزم ان يعتدى ببعض الجيوش
الى ان بحيره ليتمكن اعتماده على البرين
ويكون بحار تدبيره واوامره ونواهيه
جارية في الجانبين لكن اتفق راى
اركان الدولة ان لا يكونوا بين العدوين
وان يكتفوا الآن من شر احدى
الفئتين وامر باحضار اوليآء المؤمنين
فاحضروا طايفة بعد طايفة وعرضوا
سرية بعد سرية فانتقم وعفى

وروى صدور السيوف من الولوغ
في دمائهم وشفى وضرب بين يديه
رقاب من استوجبت جر يمته قتله
وجعل لامثاله من اولى الفتن مثله
واستاصل ساقتهم وفرق الفتهم
واخمد شوكتهم وقضى مدتهم و
وفسح مودتهم وفيهم جماعة ممن
يشار اليهم بانامل العلى وقيل لهم
بلسان الحال لا اوحش الله منكم منازل
العز ولا اخلى واخلى منهم الديار
وعفى لهم الاثار واجرى الله تعالى على

عين

164

غير ارادتهم الاقدار وقيل انما كان
الامان من بعض الوزرا الامن الحنكار
ولامن الامرا والاحاش وارف ظل امان
التاج الجوهر العثماني ان تقلص عمن
تسربلها او يهتدي هجير الحوادث
الى من تقيلها ثم صفقت المراكب ورست
ومدت من بر الشرقي الى بر الغربي و
وشدت فعدى بمعظم جنوده الاكاش
وابقى الباقي في القاهرة واغراهم
على طومان باي وشرعوا في المهاوشة
والمناوشة والمهارشة والمناغشة

فاضطربوا واضطرموا واصطدموا
واصطلموا والتقت الاقران بالاقران
وامتدت الاعناق للضراب وشرعت
النحور للطعان وثار الغبار وقام
الشنار ثم انجلى الغبار عن انهزام
طومان باى وولى الادبار فتشمر للفرار
الذيل فاعتد له من قوة ومن رباط
الخيل فتعلقوا بعقبه وانسبوا مخاليب
المطاردة بذنبه واضاقوا عليه سبل
الخلاص فنادى ولات حين مناص
وانهزم بغية بسيره واسود الحنكار

منشبثون

165

متشبثون بذيله الى عمال ابن مرعى
شيخ البحيرة فاوى اليه لسبق احسانه
عليه واشتجاش منه واستجار فكان
كالمستجير من الرمضاء بالنار فافسد
عليه وجه المخلص واشتد عليه حبل
المقتنص فرماه الحنكار عند ذلك باسود
يجرد من قبله ما يجرده من غضبه
ويسدد من جنانه ما يسدده من سنانه
ولما لم يجد للخلاص نفاذا ولا راى الا
الثبات ملاذا او احتوا عليه اقام
بمكانه مكرها على الاقامة ونقض بهذه

الافعال شروط السلامة وقد نهوه
عن ذلك فما انتهى ونبهوه بالرسل
والامان فما ارعوى وازوه العبر في
غيره فما اعتبر ونادى لسان الانتقام
من المخالفين الحذر الحذر فتعدى
طوره وابدى على اكبر الملوك جنا لا
وجوره واضر نفسه وغيره وتعدى
شره وضيره وجلب غمام الغم وغدى
بفعله القاصر لازم العداوة والهم
ودافع ذلك البحر المطلخم والليل المدلهم
فتهافت ذلك البحر العجاج والتيار

الزخار

الزخار والامواج تهافت الفراش
على السراج ثم سلم نفسه واستسلم
والقى ما كان بيده وما تلوم وكانت
المرة من الصدمات الثالثة الكرة
خاتمة التلاف وحاكمة الفراق ثم
في الوقت والساعة اعتقل وبالقيود
اثقل وعلى الادهم الجليد حمل والى
الشدة بعد الفرج ثم مثل به بين
يدى الخنكار بين يدى الامم في
امّ دينار ثم انزله بالقرب من خيمته
عدة ايام وهو يتجرع من كاسات

الندامة والملام ويتحرق من الكآبة
ويتألم ويتندم ولات حين مندم واسودت
الدنيا في عينه واستحلى مزارع سكرات
حينه وقد كان بدى أولا بالتعتيب
وعومل بسنة الله في الارسال قبل
التعذيب فما وعاها واع الا تلقاها
بخشوعه وغسل ذنبه بدموعه واصبح
آمنا من كرة رجوعه وقد كان اطلع
على مقالة الصلح على تحقيقه ولكن
السهم خرج فما امكن رده الى فوقه
ثم لم يبرح على الابراح ومعاقرة راح

الاتراح

الاتراح حتى انقطع حبل عمره في باب
الزويلة ولحق بمن سار قبله من القبيلة
ثم برزت المراسيم الخنكارية بالمناداة
بانه من احضر احدا من الجراكسة انعم
عليه فاحضروا الى بين يديه فيئة
بعد فيئة ارسالا واوثقوا قيودا واغلالا
واتت العربان بمن دخل منهم البرية وجاوا
بهم السرية بعد السرية وحسمت
مادتهم وحصدت زراعتهم وقلعت
عرق شجرتهم واستوحش انس ملكهم
وانس مملكتهم فصاروا امم الرمس

كان لم يكونوا بالامس وتنفذ فيهم ما
للاقدار من طايشات السهام ومضت
دولتهم وكانما اضغاث احلام فسكنت
عند ذلك الدهما والفتنة التي اصابت
سهامها فاصما وا قام الحنكار بمن معه
رايت ما استجمع وبان ان الامر قد
تم فضعفت له المشارع ولم يبق له في
ملك مصر ممانع ولا مدافع فصار
من اوصاف مجده يستمد المادحون
وتلى لسان الجود في الجود ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر

ان

168

انّ الارض يرثها عبادى الصّالحون

ذكر ما كانت عليه الجراكسة من الاستيلاء والتغلب من العلو والاستعلاء ثم لا يخفى على

احد ما كانت فيه الجراكسة من الرفاهية والدّعة وما كانوا يتنوّعون فيه من المآكل والملابس ولا غرو ان انفق من سعته ذو سعة ولا ما كانوا عليه من تطاول الايادى ممّا في ايدى الناس وتعاردهم عليها والتمادى فكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه حتى تلى

عليهم لسان القدر اتى امر الله فلا
تستعجلوه وقد كان اختصوا باراضى
بيت المال بالاقطاع واستلعبوا به
كلعبهم الشطرنج في الرقاع واجالوا
رماح ظلمهم في رقعة الدقاع فصاروا
كانهم افيال والناس بنادق اذا فوق
الغلب بفرزان ظلمهم اى مذائق
وكانوا اغتروا بتطاول الايام الذاهبة
وظنوا ان ما في ايديهم ليس من
العوارى المردودة واغاهو من الاملاك
الواجبة ولذلك الباطن يظن حقا

بتطاول

169

بتطاول الزمان ومن لم ينصف من
نفسه انصف منه حد السيف وطرف
السنان وما كان احد منهم يتعاطى
خدمة نفسه بيده اما بيد عبده او بيد
حر بمقابلة احسان فبصير كعبده فلذلك
كان بين اهل مصر وبينهم التمام من
المصاحبة والمعاشرة والمعاملة
التى تمادى عليها الايام والمصاهرة
والولا التى هى لحمة كلحمة الانساب
والمعاقدة من الخدمة وغيرها من
وجوه الاكتساب لان الانسان عند

الاحسان وقد قيل انه عليه الصلوة
والسلام جبلت القلوب على حب من
احسن اليها والبغض من اساء عليها
لكن الناس كانوا قد الفوهم والقواصرهم
وما لوفهم وامتزجت الناس فيهم فهذا
هو الحامل لبعض المغرورين منهم
مناصرة طومان باى كما تقدم ذكره
وقد اضر نفسه وغيره مرة بعد اخرى
كرة وفرة نعجب لحكم الله كيف
انبثت شملهم فتمزق ومزقتهم
ايدى الزمان كل ممزق بعد ان كانوا

يرفع

170

في ظلال كما رأيت ودلال ومن
مساكنهم في جنتين عن يمين وشمال
بين سدر مخضود وطلح منضود وظل
ممدود وماء مسكوب وهو بالراحة
منصوب ونعيم بالسلامة مصحوب
في أمن ودعه وخصب وسعه متلذ
ذين بماء نيلها المعين وبمالها المعين
وظفروا بدور نحرها الذي هو كل
بحر عنده دون القلتين وألحقهم
الدهر بمسرات لا بمسرتين قال
عمرو بن العاص ولاية مصر ولاية

جامعه تعدل الخلافة كيف لا وهي المصر
التي عدها فرعون فخرا وادعى بها الالهية
تعظما وكبرا وهو بلد يشهد بفضله
على البلاد فهو على الحقيقة هو المصر
وما عداه فهو السواد قال سعد بن
هلال اسم مصر في الكتب السالفة
ام البلاد قال ابن عمر ان الدنيا
على صورة الطير فالراس منه مكة والمدينة
واليمن والصدر منه مصر والشام
والجناح الايمن العراق والايسر
المغرب وما والاها وبلاد الاروام

وانه

وانه قال لما خلق الله ادم مثل له الدنيا
شرقها وغربها وسهلها وجبلها وانها رها
وبحارها فلما رای مصر رای ارضا سهلة
ذات نهر جار مادته الجنة ينحدر فيه
البركة ويمازجه الرحمة فدعى ادم في
النيل بالبركة وفي ارض مصر بالبر والرحمة
فهو ببركة دعائه ما راه راء الا ملا
عينيه وصدره ولا وصفه واصف
الا علم انه لم يقدر قدره ولقد
غبطتها البلاد مع تميزها بسعة
اكنافها وطيب مرتعها ومصطافها

فاطرافها ساكنه ونعم الله عليها ظاهرة
وباطنة قد حفتها مطالع السعود ولم
يعدم اهلها من عيش الجنة غير الخلود
وهي في دائرة الاقطار كالشامة وفي
زينتها كريش الطاوس او طوق
الحمامه وفي صورة شكلها في
الاقطار كالنقطة وفي سماء الحلل
كالشمس بداشعتها في الوجود ٥
باسطة وهي الربوة المباركة والغوطة
التي جلت عن المماثلة والمشاركة
والمعدودة من جملة مداين الجنة

والماهولة

والماهولة بالاهلة من ارباب الكتاب
والسنة وفيها العباد الذين هم
اخلاس الغياهب والعلماء الذين
فضلهم كفضل القمر على الكواكب
الذين هم بقيا تلون في سدف الظلام
ويغنون بسهام دعائهم على سل السيوف
ورمى السهام فبوجوههم يستسقى
صوب الغمام وبدعائهم يستدفع صرف
الايام وببركاتهم يمهل الخلق على ما اسرفوا
فيه من الاثام واذا نظر اليهم حق
النظر علم انهم هم الناس ومن سواهم

كالانعام واذا احلوا بمكان انست
افطان وكثرت انوان وطاب للزائرين
مزانه فما اخذل من كانوا انصان
ولاسلب من كانوا اشعان مع ما فيها
من عجايب الاثار مالا يضبط بالعيار
فضلا عن الاخبار فمن ذلك الهرمان
اللذان هرم الدهر وهما لا يهرمان
قد اختص كل منهما بعظم البنا وسعة
الفنا وبلغ من الارتفاع غاية لا يبلغها
الطير على تحليقه ولا يدركها الطرف
على شدة تحديقه اربعمائة ذراع في

اربعماية

173

اربعماية ذراع في الارتفاع اربعمائة
ذراع فاذا اضرم براسه قبس ظنه
المتامل نجما واذا استدار عليه
قوس السماء كان له سهما وقد قيل
انه كان في سالف الدهر مستورين
بالديباج وعليهما قد كسوناهما
بهذا فمن شاء بعدنا فليكسهما حصرا
عن الديباج والناس مختلفون
في وضع هذين الهرمين فالاكثر
يزعم انهما وضعا عصمة من الطوفان
وعلى الحقيقة فانهما بانكار شانهما

اولى من العرفان واما ديار مصر
فانها نعم الديار وهي مدى الاوطار
ومدد احاديث الاسمار والجنة التي
تجري من تحتها الانهار وكيف لا وقال
ابن عمر البركة عشرة ففي مصر تسعة
وجزؤ منها في بقية الاقطار وهي
كما قيل شرك النفوس ونزهة الابصار
وتجدد الافراح بمقطعات نيلها و
وتتقرب بما يقر الطرف الى قلب نزيلها
على انها بلد تسلي المحب عن احبابه وتغري
الغريب بطول اغترابه فمن خواصها ان

المقيم

174

المقيم بها يجد نشوة من غير شراب ومسرات
تتجدد بلا اسباب وبظاهرها متنزهات
كثيرة كبركة الفيل ومستنقعات مايغا
درها المد فيسمى مقطعات النيل ولاهل
مصر بهذه المقطعات غرام واستهتار
ومفاخرة في تفضيلها على غيرها من
الديار وهي لعمري حسنة المنظر شبيهة
بدراهم مبثوثة على فراش اخضر قال
عبد الله بن عمر من اراد ان ينظر الى
الجنة فلينظر الى مصر تتزخرف بنباتها
الا نظر تنزه الحدق بانوار الحدايق

وتستنطق بتسبيح الخالق من خطباء
الاطيار على منابر الاغصان ما استنصت
بلغاته كل ناطق قال ابوهريرة الغفار
سلطان مصر سلطان الارض كلها
قال في التوراة مكتوب من ارادها
بسوء قصمه الله وانها خزاين الارض
كلها كم لاصابع مقياسها على الخلق
من الايادي وكم لخلجانها من منهل بر
روده الرائح والغادي ومن عجايبه فيه
عمود قسم اذرعا وقسم كل ذراع اصبعا
اصبعا وهو في بناء وضع بجزيرة تجاه

الفسطاط

القسطاط يعلم منه ميزان النيل في
الارتفاع والانحطاط فاذا بلغ الماء
ستة عشر ذراعا عند الازدياد يستحق
حينئذ الخراج في جميع البلاد هذا
ما كان عليه النيل لما كان له مائة الف
وعشرون الف رجل معهم المساحي
منهم سبعون الفا للصعيد وخمسون
الفا لاسفل النواحي لحفر الخلجان
واقامة الجسور والقناطر وتنقية
المسيل وسد الترع وقطع الحلفاء
والطرفا من حافتي النيل وحافيتها

مدى المديد بساتين ما بين اسوان
ورشيد وقد كانت المراة اذا اجتازت
لا تحتاج الى الحمار لكثرة الاشجار ومن
مشى وعلى راسه مكتلا فيمتلا مما
يتساقط فيه من الاثمار واما الآن
فلا يروى رى العميم لا نحو من عشرين
ذراعا حتى يمد النيل ويسد الطرق
والسبيل واما خراجها وقلبيته من
المقدار فذكر انه جبي لفرعون من
فراغتها اثنين وسبعين الف الف
دينار وكان ممن تفرعن فيها اربعة

وثلاثون

176

وثلثون فرعونا ممن طغى وادعى الالهية
وتكبر من عمر الاربعماية سنة والمايتين
واكثر ولا فيهم اعتى من فرعون موسى
ولا اشر ومن عتوه ما قيل انه قال
لهامان حين امره بحفر خليج سردوس
فلما فرغ وقد انفق عليه بمال جمعه له اهل
القرى على الروس فاخبره بما جرى وانه
انفق عليه ماية الف دينار جمعوه له
اصحاب القرى ما احوجوك لمن يضرب
عنقك اخذ من رعيتي ما لا علي منافعهم
ورد على الناس مثل ما اعطوه من اموالهم

ومن اهتمام فرعون لعمارة البلاد دما
قيل له انه كان ينفذ بعد التحضير كل
سنة اردبين مع قائدين من القواد
فيرسل احدهما الى اعلا الصعيد والاخر
الى اعلا الصعيد والاخر الى اسفلها فاذا
وجد كل منهما موضعا باير اكتب اليه
واعلمه اسم العامل تلك الجهة فاذا
بلغ فرعون ذلك امر بضرب عنق العامل
وسلب امواله او والى العقوبة عليه
وربما عاد القايدان ولم يجدان موضعا
بيد رفيه الاردبين لتكامل العمارة في

جميع

١٧٧

جميع الجهة والطرفين ومن عوائده
على ما قيل انه كان ياخذ ربع الخراج لنفسه
وبيت ماله والربع الثاني لجنده ووزرائه
وعماله ويكنز الربع الثالث ذخيرة لدفع
المهم ويصرف الربع الرابع في حفر
الخلجان وعمل القناطر والجسور وسد
الترع والملم وقالوا ان عمرو بن العاص
سال المقوقس حين فتحها فقال انك
توليت مصر ثلاثين سنة فبم يكون
عمارتها قال بحفر الخليج وسد الجسور
والترع ولا يوخذ من خراجها الا من

غلتها المزدرع ويرفع من اهلها الكلال
ويوفي لهم بالشروط ولا يرتشوا العمال
ويكونوا من ذلك على جانب من القنوط
وقالوا انه لما فتحها وجاؤوا ان الزيادة
فتأخر عن المزيد فقال له قبط مصر ان
للنيل عادة تاخذ بنتا بكر فنرضي اهلها
فتحليها ثم نقذفها فيه فيزيد فقال
عمرو الاسلام يجب ما قبله ثم
دخل مسرى ولم يزد حتى همت الناس
بالجيلا منها فكتب عندها الى امير
المومنين عمر بن الخطاب في ذلك

فجعل

178

فجعل ينتظر قوله حتى ورد جواب
امير المؤمنين عليه وقد استصوب
رايه بطاقة ارسلها اليه فكتب فاذا
فيها من عبد الله امير المؤمنين عمر بن
الخطاب الى نيل مصر اما بعد فان
كنت انما تجري من قبل نفسك فلا
تجري وان كان الواحد القهار يجريك
فنسال الله الواحد القهار ان يجريك
فتجري فامره بالقايها فيه وقد تهيا
الناس للجلا منها فالقيت قبل يوم
الصليب فاصبحوا وقد اجراه الله

تعالى في ليلة واحدة سنة عشر
ذراعا يوم الصليب فاورد الله تعالى
النيل عوايده من الموارده فانقطع
ببركته من لا نبي بعده ما كان للجاهلية
بعده من العوايد ومن عجايبه انه
ياتي وقت لا يخلف فيه وينصرف في
وقت لا يخلف فيه وليس في الدنيا
نهر يزيد بترتيب غير النيل ولا نهر
في الدنيا حين ينقص انهار الدنيا
وعيونها وفي اشد ما يكون الحر وكلما
زاد الحر كان زيادته اوفر غير النيل

واما

وَاَمّا بحرُه فحدّث عنه ولا حرج واركب
فيه بيسم الله تظفر بكل مطلوب من
الفرج وما احسن جيزتها التي جاوزت
الحد سيوف لهوها اللامعة واعطر
روضتها التي لم يزل منصوبًا بها منبر
الخلاعة تجلو الطرف المتنزه بها اجلا
خلاها وتجود بما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين مشتهاها وهذا الذي ذكرته
من محاسنها عنوان كتابها وفي الا
ستقصاء بما بها من الفخار تحيّر الافكا
بالبابها فهي مزدانة بالفضل المبين

معانقة بالقوي الامين ذكر
رجوعه الى تخت ملكه استنبول
بعد بلوغ المنى والمامول
ثم لما بلغ من غرضه المرام وانتهى امله
الى الكمال والتمام وجاء الافراح وزال
الاتراح وشنف بها اذان الافاق من
اقاليم المصرية والحجازية والشامية
والحلبية والرومية وديار بكر واوليك
الرفاق شرع في النظر في الامور
وتقرير الاصول وما يتم به نظام ملكه
الديار المصرية ومن خراجها المحصول

وضبط

وضبط جهاتها جانبا جانبا وقرر لكل
جانب جانبا وانه لا بد لها من نايب
يقوم بامرها ويسد ثغرها ويتقلد
اقراط التدبير في نحرها فانتدب
لها من له اليها مانوسة الفلك من
نقادم الايام وهو ملك الامرا خاير بك
اذ كان جهينة اخبارها وضمير اسرارها
وفوض اليه نيابة الديار المصرية
من سياسة الملك في تقرير اصوله
وتدبير محصوله والنظر في تصريف
جهابذة الاموال وتنقلهم من الشمال

الى اليمين ومن اليمين الى الشمال وبسط
يده في الاحكام وجعل له ولاية الحكام
وجعل امره ماض في الصغير والكبير
ولا فرق فيه بين ذلك المامور وعن
الامير من تولية وعزل ومنع وبذل
وتقديم وتاخير وتسهيل وتعسير
فانتظم شملها عليه وتقرر امر
الديار المصرية اليه ثم لما استقرت
نيابته واستبدت ومن عزائم
الخنكار استمدت لم يكن له غنى
عن مساعد ولا مندوحة لبنانه عن

ساعد

ساعد من نايب يصون قلعة العزا
من عدو ومعاند فعين لها الامير
خير الدين الرومي ولم له من الامر
شئ الا اعتضاد ما اليه ملكه الامرا
يومي وفوض اليه وعول امر الانكشارية
عليه وحين تظافرا على الاصلاح
وتظاهرا واتفقا في الامور وما
تنافرا برزت اوامره الشريفة بان
يرتب له في المنازل الاقامة وان
يستكثر منها ما يجده متوفرا عند
توجهه مع السلامة وهي له من المستظرفا

الشهبية ما يكفيه ومن محاسن
المصرية ما ادهش ابصارا وحير فيه
ومن تحف حجازه ومصره ما تعجز الاقلام
عن حصره ثم ارتحل من تحت الخلافة
واستنقل ركابه الشريف عن مصر
الجامعة بين الظرافة واللطافة
مجريا ذلك البحر العجاج طال ما سد
مدى الفيافي والفجاج هذا الى تخت
الروم تبعث اليه مع النسيم رسايل
وتبذل له في تعجيل عوده وسايل
قايلة مذ فارقني مولاي اصبحت

عادية

182

عارية اللباس خالية من الناس وحيدة
من الوحشية بقدر ما وجد به غيري
من الايناس وكرسي سلطنتها يود لو
سعى من شوق اليه او شافهة بالهنى
بالنعمة التي انعمها الله عليه فلبى
دعوتها ولم يطل جفوتها كيف لا وهي
اول ارض مس جلده الكريم ترابها ورقمت
به السعادة على جبينه كتابها وسار
اليها سير الاقمار الى منازل الضيا
والنور ووطئ بمواكبه الارض فظهرت
بها من مواطئ جياده اهله ومن اثار

حفاف مطية بدور الى ان حل ركابه الوسام
في دمشق الشام ثم نظر في امرها لبعدوا
ثغرها بعدا لقطوف بسام فانتدب
لها جان بردى الغزالي وقد كان رشح
ملك الامرا ركنه لها بالثناء العالي وكم
لملك الامرا كان له عليه ايادي لا يوازن
حبة مثقالها ولا يبلغ ادنى منالها
وفوض امر دمشق اليه وجعل معولها
عليه ثم ارتحل ركابه الشريف منها
ايضا واستقل متبعا ذلك البحر المتصادم
ابراجه والجيش المتلاطم امواجه الى ان

حل

حل في مدينة حلب وقد بلغ من المرام
غاية الطلب كيف لا وقد تمهد له مذاهب
المذهب ولم يطل المكث بها اذا كان
شانها ممهدا وقد كانت مدت اليه
اولاً حين رآته للمصافحة يدا ولم
يزل ينتقل ركابه الشريف من دهليز
الخلافة ومن دار الملك الى دار الملك
في موكب عقوده اللآلى ونجومه العوالى
ومنافسته المعالى ومدا ومنته مداومة
الايام والليالى الى ان اشرف ركابه
الماهول بفحول الاقيال واقيال

الفحول دار خلافته بالقسطنطينية
الكبرى في استنبول وقد ارتقى من
المال مدارج المنى غاية المامول فخرج
اهلها لاستقباله مستبشرين بروية
جبين هلاله وهي بمقدمه عاد الى جسدها
الروح المفارقة وتمتعت مقلتها من
محاسنه بابهى من رياضها الرائقة
وقد كانت ظنت انه اختار الديار
المصرية على ديارها فسكن لسان
الحال من اضطراب حشاها ووعدها
ان قدمه الشريفة ستنعشها

ولولا

ولولا ذلك لقتلتها لوعة الفراق
ولم يكن بقاها بحشاشة النفس الا
بامل التلاف واهدى اليه بحضوره
البشرى ما يحيي القلب والقالب
وابدى الدهر في معاودة سعادتها
العجايب وما زال الدهر ياتي بالعجايب
الى ان حل ركابه الشريف في سرايا
يميس في حلل الرفعة والتشريف
وتيفيا من ظرنيف الخلافة بطله
الوريف فتخرت بحلوله فيه وقالت
هذا اليوم الذي كنت ارتجيه وهذا

الوقت الذى ما برحت تبشرنى به
نسمات البكر والاصايل وهذا الملك
الذى اعرف فيه من ابايه شمايل فغبطته
الادرنة وسالته ان لا تبتغى محسورة
بغيره الحسد ودرنه فادعت استنبول
دونها بمزيد الفخار وما بدت به من
النظر وللنظر سبق البدار فاراد
ان يعظم لها الشان فحل بها مرة
ثم بتلك اخرى فطاب بحلوله الواديان
وقد زادهما مقدمه حسنا انه اب
ظافرا وقال التاله ثم حامدا فطال

ما بان

185

مَا بَاتَ سَاهِرًا وَهَادَتْهُ مُلُوكُ الطَّوَايِف
وَتَقَرَّبَتْ اليهِ بِانْوَاعِ التُّحَفِ وَالطَّرَايِف
وَاخْتَلَفَتْ بِتَجْهِيزِ رُسُلِهَا الى ابْوَابِهِ
وَاخَذَتْ فِي اعْمَالِ رَكَايِبِ التَّهَانِي
لِتُنِيخَ بِرِحَابِهِ وَهَنَّتْهُ بِمَا انْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ
بارزٍ من المَمَالِكِ من حَلَبٍ وشَامِهِ
وَمِصْرٍ وبَالَغُوا فِي تَعْظِيمِ شَانِهِ
عَلَى اقْوَمِ السُّنَنِ وَقَامُوا بِتَفْخِيمِ حُقُوقِهِ
بِالفَرَايِضِ وَالسُّنَنِ وَتَلَقَّى كُلًّا مِنْهُمْ
بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ جَمِيلِ عِبَادَتِهِ وَانْزَلَهُ
بِمَكَانٍ يَلِيقُ بِهِ عَلَى رُتْبَةِ مَخْدُومِهِ

ورتبته ورتبت لهم الاقامة بما
يقرهم على الاقامة وحملت تقامهم
الى بين يديه فتقبلها وبحر بل الشكر
استقبلها وامر بان تحمل اليهم
من الخزانة الشريفة تشاريف
بهبة فحمل اليهم والى خواصهم
عدة تشاريف سنية سرية ولم
يزل كل منهم مدة اقامته في ظل
الخلافة السليمية وادعا وفي مياه
كرمها كارعا وبالشكر على نعمها لله
وله ساجدا وراكعا ولما قضى كل

منهم

186

منهم من التهنيه وطن وغلا اذ ملا
من مشاهدة حرم الخلافة الظريفة
نظره وعزم على عوده الى مقر سلطانه
والقفول بعد الغنيمة الى اوطانه
احسن لهم القرى واحمدهم عاقبة
السرى وجزاهم على الحسنة بعشر
امثالها وكافا ملوكها في مناها بما
يزني على امالها مع التحف والهدايا
ومما يليق بكل منها من نفايس التحايا
هذا من جميل صفاته التي وصفناها
وما انصفناها وعرفناها وما عرفناها

وهذا شعاره الذي هو زينة له في
الدنيا وزاد في الاخرى وتحبب
بما اليه تحبب واستفخر الاجر انه
وفي ماله في ذمة الزمان ترتب
واستمر ينقبا من عز الخلافة الطريقة
عالي الصوت والصيت الى ان لحق
بجوار من يحيي ويميت **ذكر**
انتقاله من دار الملامة الى دار
السلامة والكرامة ثم لما قضى الله
فيه رحمه الله تعالى بما قضى ووطيت
الاكباد منه على مثل جمرة الغضا

وشاع

187

وشاع هذا الخبر الشاق ونبا عن
هلال وجهه بالمحاق تساوت في
الجزع له احلام النسا والرجال
ولم تكن قلوب الغوادير فيه باجزع
من قلوب الجبال حتى رقت كل عين
شحيحة وعدت الدا كل كبد صحيحة
فاى قلب لم ينصدع واى صبر لم
يمتنع واى دمع لم ينسجم واى
عيش لم ينصرم فزروه في الزوايا
كمزية فضله في المزايا فيا وحشة
الدنيا ممن كان انس دارها وعطلها

من الزينة وقد ذهب عقد طوقها
وجوهر سوارها وعدمت من كان
جنتها ونعيمها واصبحت بعد كمقلة
فارقها انسانها او يد بان عنها بنانها
فاين ذلك الورد المورود والعهد المعهود
والزمن الذى كان يخضر عوده اذا
جف العود واين ذلك العزم الذى
كان على المعروف باعثا وكان الجهاد
له ثانيا والتقوى ثالثا واين ذلك
الراى كان يفل الجيش وهو عرمرم
ويهد ركن الخطب وهو يلملم ولو

قيل

قيل اين حتى تنقطع الانفاس وينفد
القلم والقرطاس لما اقيم له بحقه
ولا انتهى الى صدق اوصافه ولا اوفى
صدقه فيلزم الوشيج بعد مواطنه
والحديد معادنه ولتبكه الحرب وما
حوته من موقد نارها ومثار غبارها
والخيل من مراكضها ومضمارها
ولئن شقت على غيره الجيوب فقد شقت
عليه الاعلام وان اوحشت من غيره
الديار فقد اوحشت منه ممالك
الاسلام ولقد ترثاه فعظم موقع

مرون واستوى جانبا مسانه وسروره
اما سروره فتلقا تلك الروح التي تباهي
الانبيا بكونها من امته واما مسانه
فبتعطيل بنا عزمه الذي لم يتبطر
احد بعده في اسرار حكمته على انه قد
جمع له بين الجهادين وخطى فيهما خير
العنادين ولطال ما قاتل اولا طاغية
الكفرة الذي كان كبش كتابيها ثم
ثناه بطاغوت زنادقة العجم الذي
كان امام البدع ومذاهبها فكفى المومنين
الاول قتالا وكفاهم بالثاني ضلالا

وما

وما سطر في صحيفته مثلها تين
الحسنتين وهما في الفضيلة اختان
ولقد لبس اليوم الذى اصابه عا رايتن
الانام وبدل ازاره من بياض النوره
بسواد الاظلام واضحى مشاركا لاهله
في لبس الحداد وصار هو والليالى
شياقا احدا في كون السواد فيا عجبا
له فتشح ثم شارك في الفجيعة وهذا
من فعله بديع لم يفعله الا في هذه
الحادثة البديعة ولو قبل الدهر
الفدا لوجدا رواحا تقى تلك الارواح

فلو حمى منه حامٍ لكثر حوله اعتصاب
الاقوام واعداد السلاح فقاتل الله
المنايا ما اغراها بالاعلام واجورها
بالاحكام تبتغي سبل الوهاد محضرا
وتذري منابت الاكام فيا اسفي
على ذلك الغصن الذي ذوى عندما
ابان زهرة والهلال الذي اعترضه
المحاق في غرة شهره والسحاب
الذي ما استتم نشاة حتى انحسر
والغصن الذي لم يتكامل حليه حتى
انكسر ولو كانت تبدو للاداني

فنز

قبل الاعالي وجعلت العبيد فداء
للموالي لم يفقد هذا الملك الجليل
حتى اهرم عمر دهره وصار ثانيا للخضر
عليه السلام في خلود عمره لكن
ريب الدهر له تطلع الى رؤس الذرى
من بين الورى ولذلك يجف زهر
الربا قبل الوهاد ولا الخسف من
النجوم غير الافراد وو الاقدار ماخوذون
بنوازل الاحداث والقصر معدا الى
ذوات الاربع دون الاثنين والثلث
ولا يقال فيمن عدمت الارض منه

حياها والمحامد محياها فلو نطق الجماد
بلسان ونصوص المغنى لعيان لاعذبت
تلك عن ظما صعيدها وبرزت
هذه خاسرة حول فقيدها وستبكي
السما والارض ما فقدتاه من علمه
وتحسد العليا منهما السفلى لمكان
قبره كما حسدتها المكان منزلته وللارض
من هاتين المرتبتين حظ انس دارها
وطيب ثراها فلظهرها احسان
عوارفه ولبطنها حسنات صحايف
فهو من احب خلقها اليها حيا وميتا

ولقد

191

ولقد ساوى بين نعمى منزلية فترك
منها بيتا وسكن بيتا وذلك مقام
لا ينال الا من اشترى الجنة فلم يشتغل
ثمنها ورأى الدنيا دارا لا وطن فيها
فاثر الدار الاخرة ووطنها مهد الله
له الى الجنة طريقا وجعله للترقيق
الاعلا رفيقا لا زال لابسا من اثواب
الثواب ما يرفل في منازل السعود اخلا
في زمرة قوم سيماهم في وجوههم
من اثر السجود مختالا في جنات
الفردوس ما يشاء من ملابس التقوى

في افخر البرود وعطرت به كل نسيم
معطار وحياه كل نجم وشارق ما اظلم
ليل واضاء نهار وقد علم ان حقوق
المودة كثيرة فايسرها المواصلة بكتبها
والزيارة على بعدها كزيارة اهلها
على قربها وفحواه ناطق في نادية
حق العزا والتهنية بما لهما من
حسن الجزا فان من التعازي
ما ياتي وفي ضمنه تهنية تخفف
من خطبه وتخلط اجاجة بعذبه
كهذه التعزية التي فقد الغر الغرر

التسليماني

192

السليمانى معهما اباوا ستنفاد
ملكا وجمع الحزن والسرور في
صفقة واحدة منظمها سلكا اعظم
الله له اجرا وانزل عليه صبرا ولا اخرج
له على الايام صدرا وجعل آخر قومه عمرا
كما جعل اولهم قدرا ولولا الاستنجاد
على مقارعة هذا الخطب ببقاء التاج
الغرر السليمانى لكبرت الجراح و
وذهبت الارواح فما دام ذلك الفرع
باقيا فيا كثرة النضار وما دامت
تلك الغصن سالمة فيا كثرة الثمار

فلا تشمت الاعدا بتقشع غمامة
خلفها زهرها ومغيب شمس ردفها
قمرها فقد وافى الحيّ بر از الحيّ الميت
واذا سلم من البيت دعايمه فما وهن
بناء البيت وفي بقاء العز المياميه
سلوة عن كل ذاهب واذا اطلعت
وجوه البدر فلا اثر لمغيب الكواكب
فما سلم العز التاج السليماني
فبنيان قومهم سالم وما قامت فيهم
ايامه فالدهر في خدمة جدودهم
قايم ونسال الله تعالى ان يشغله

بعمارة

193

بعمارة دينه ويعينه على اسلام قرينه
ويمكن له في اعمال التقوى التي
هي اسعد من ملك الارض وتمكينه
بمحمد واله الميامين امين. ذكر
تولية مولانا السلطان المالك
الملك المظفر سليمان ولما كان
بالخلافة تطلع الى هذا الفرع الكريم
وترتب لهذا الشرف الحديث الدال
على الشرف القديم واتفق من موت
الملك المظفر سليم في غيبة من له
هذا التطلع ما اتفق وركب الناس

من المخاوف طبقا عن طبق وخشى
منه ان ينتسج من مقاطع الاضطراب
اطول الشقق اقتضى الحزم اخفاءه
لتطمئن العباد وحسم مادة الفساد
وترك الجثة بمكانه الى ان يحضر المقام
الشريف الى سلطانه وقام عزم
الموالى الوزراء في ذلك حق القيام
وسهروا في مصلحة الاسلام وهم
نيام في اقامة شعاير الرياسة
والقيام باعباء الايالة والسياسة
وحصل لهم في هذا السهر من

الاجور

194

الاجورا لوف الوف وجازوا باهتمامه
به مما لا يعبر عنه وما زال اهتمامهم
بالمعروف معروف كيف وقد لم حزمهم
شمل الاسلام من تبدد الايام وقد
اعلموا اعلام السليماني بالاعلام واستعجلوا
لئلا يصبح شمل الاسلام مبددا وجمعهم
متفرددا فجعلوا ينتظرون طلوع
غرته ويتمايل كل منهم في المراى
لرؤية ميمون طلعته وحين وصل
السليماني الخبر بقاصمة الظهور وداعية
الثبور وعدم صبر اقارهق من امره

عشرا وركب في الوقت والساعة
وقد اخفى هو ايضا عن المحفل والجماعة
على جواد يرجع الرياح عن مسابقته
من الطريق وتقول له عند العجز عن
مسابقتهم ما انت لي برفيق وسار على
اسم الله تعالى بالجاريات الجياد وسبق
بقطع المنازل والبلاد والالطاف
الالهية عن يمينه وشماله والعناية
الربانية مقرونة بفعاله ومقاله
ولسان الحال ينشده ويقول
دعيت لملك لا يؤيدك حفظه

وان

193

وان كان ثقلا للجبال يؤود ● لتنظرك للملك الجليل معاشر ●
راوكل يوم الانتظار سعيد ●
وهذه الايام المسطرة المقدمة عدها
الانتظار بالسنين وامتدادها وكل
العيون فيها باستطلاعها والضلوع
بايقادها ثم لما اذن الله وصول ركابه
الذى كانت تلحظه عيون الاعيان
والوقت الذى كانت ترقب فيه طلوع
الامان واليوم الذى اغاث الناس
بالاطمينان بعدما تقدم لهم

من الايام الاحزان وهذه الثلثة مذخور
لدولة الغر السليمانى لا كشفته
الاعداء عن شاموا لا زاعن ندم لا زال
سايرا من جيوشه في اساد ومن
رماحه في احم ولا زالت المهابة
خادمة بعزايمه حتى تصطنع له
ما لا تصنع البهم تفاءل الناس
بتثليث النجوم لتلك الثلثة وقالوا
هذه سعادة حديثة السن والقوة
كل القوة في سن الحداثة وحين
لاح لهم وجه من تحت شفق سماء

الخلافة

196

الخلافة وطلع محيا ركالبدر الانه
من شمايله اللطافة والظرافة
تراسلت اليه الوزرا اللقايه مشاة
وركبانا وطاروا من شدة الفرح
بقدومه زرافات ووجدانا فتلقوه
بالرحب والقبول واقعدوه على تخت
الخلافة في القسطنطينية الكبرى
في استنبول ولقد اهتزت اسرة
الملك لارتقايه وتحصنت الانفس
بحصن ولايه فقبلوا بين يديه الارض
وقاموا من الادب بالسنة والفرض

وشافهوه بالتعزية والهنا وصافحوه
وبدؤا بالدعا له والثنا وفاتحوه
فاقبل عليهم ومال الى جانب الميل
اليهم لكن بكى على الملك الذى كانت
الملوك تزور مهابة عند ذرى بيته
وعند ملكه منتظم ببهجته حق
ذرفت كل عين شجية واعدى
الحزن كل جسد صحيحة ثم اشتغل
بامر تجهيزه وبادر باكرامه وبتجهيزه
ورتب القرا حول ضريحه يتلون
ايات الله التى كان رحمه الله بها

عاملا

عاملا ولم يزل ربع تقواه بها اهلا
ثم لما توطنت النفوس على سلطانه
وما زالت متوطنة وامنت بمعجز
برهانه وما زالت مؤمنة تقدمت
اوامره الشريفة للوزرا بما سالوه
وتبليغ ما في ايامه الشريفة املوه
وعفى وصفح واكرمهم بالمنن ومنح
ورفق بهم تفضلا وتطولا واجراهم
على ما كانوا عليه اولا وافيضت عليهم
ملابس التشريف ووشحوا بمطارف
التوشية والتفويف وقالوا الحمد

لله الذى اظهر من معدن الخلافة
جوهرة شريفة واخرج من طودها
هضبة منيفة اذ نامنه ان تكون
هذه الكلمة باقية في عقبها محرمة
على من رام الاعتلاق بسببها كيلا
تخلو الارض من رواسى حلمها التى
يمنعها ان تبيد وتسبل هدايتها
التى تهدى الى الطيب من القول وتهدى
الى صراط حميد ولما استقر الفرد
التاج العثمانى بوطن ملكه وحل
في سلك الخلافة وكان واسطة

عقد

198

عقد سلكه تهلل به وجه الزمن
العبوس وتذكر الناس بايامه الجنة
في جمع شهوات النفوس ووجدوا
من الطاف الله مرة بعد اخرى ما يقال
معه ان ذلك لذكرى ولسان
الامتنان يتلو عليهم وما نريهم
من اية الا كانت اعلى من اختها
مقاما وكذلك نزجي سحابا ثم يولف
بينه ثم يجعله ركاما برزت الاوامر
الشريفة باعلام ذلك بالاعلان
والوصية بالرعية وينادى لهم

بالامان وبرزت المراسيم الشريفة
الى سائر الممالك شرقا وغربا عجما
وعربا مصرا وشامها وحجازا وما
والاها يتضمن بالاعلام وتوفير
الادعية الموجبة العليا لابيه في
دار السلام وبما هيأه الله له من
الخلافة التى اصبحت بها وجوه
التوفيق مسفرة وثغورا لامل ضاحكة
مستبشرة وتلقى الناس اخبارا
ولايته بالبشاير والتهانى وتذكروا
ايام والده وتاسفوا على فقد ملكه

السليمانى

1906

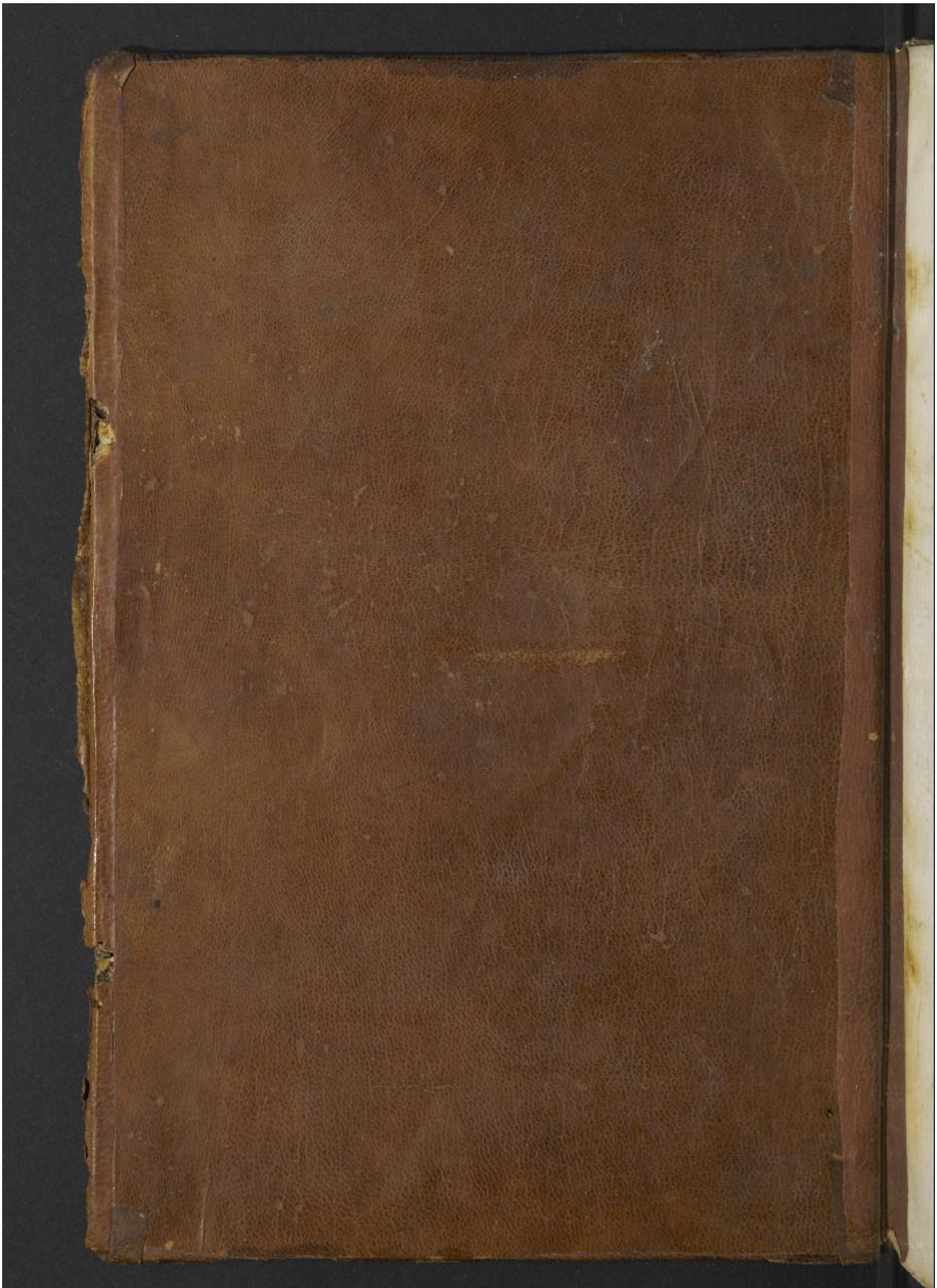
السليمانى وابتهجوا بولايته غاية
الابتهاج وسلكوا فيه من المسرة
اعظم منهاج وعمت هذه المسرة
قلوب الرعية وما خصت وتليت
على اسماعهم فهزت الاعطاف طربا
بما عليه نصت فاخذت الارض
زخرفها والمدن زينتها من كل زاه
وزاهر وشجعت الخطبا باسمه
الشريف فكانت ان تخضر اعواد
المنابر وطرزت العلايم باسمه وضربت
الدرهم والدينار بوسمه ورسمه

وجرت بحار اوامره في الاقطار ور
وامتثلت اشارته في الاعصار والا
مصار ونمت الزروع ودرت الضروع
واستنورت الحدايق بكمام نورها
الرايق واستوسقت الاشجار بعناقيد
لالي الاثمار ورقصت لغناء الاطيار
وصفقت الانهار وهذا دليل على
يمن ولايته وحسن استفتاحها
وتوفير ارباحها وهبوب رياحها فلا
عدم الاسلام حسن نظره الذى
شمل الاحيا والاموات وبهر بما جاء

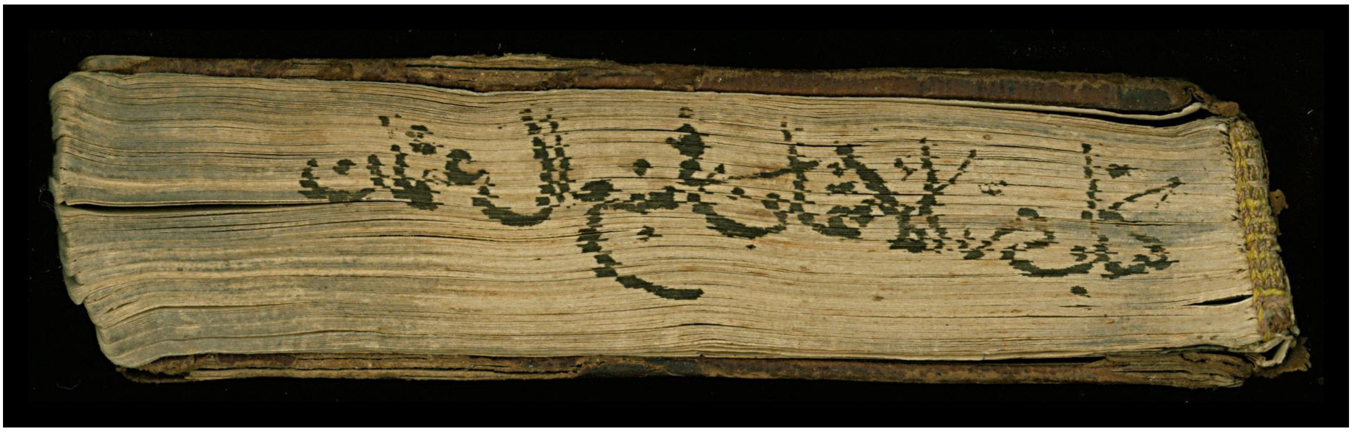
به من شريف الايات ثم لما ضمن لها
من جهته كل خير وامنها من كل ضرر
وضير علم الناس ان السليمان تفقد
هدهده وان الدهر قد انجز من
السعادة موعده وهو بمثل هذا في
كل حين بخيل ووجود نفائس الاوقات
من كل شي قليل ولذلك قل في
الناس الجواد وفي الخيل الجياد وكانت
الشمس والقمر واحدا واحدا وغيرهما
من النجوم كثيرة الاعداد ووافقت
ولايته في سنة خروجه من مدينة رسول الله

ولاية برّ والطاف ورزق الناس اعواما
سمانا ياكلن ما تقدم من عجاف
وصار الناس معه في امن قلوب
ولين جنوب كانهم ساكنوا الجنّة
التي لا يمسّهم فيها نصب ولا يمسّهم
فيها لغوب والله تعالى يوفق ويعين
بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وحسبنا الله ونعم الوكيل وكان
الفراغ من كتابته في صباح يوم الاحد
تاسع محرم الحرام سنة ثمان واربعين والف

201












A. 1614.


x·rite
colorchecker CLASSIC